سليمان

الادب العصري

الأدب العصرى

فى مصر

لمحمد سليمان

(الطبعة الاولى)

سنة ١٣٣١ هـ - سنة ١٩١٣ م

طبع بمطبعة الجمالية - بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وبه العون ﴾

جرت عادة مدرسة القضاء الشرعى ان تكلف طلبة القسم العالى منها بتأليف رسائل يتخير الطالب فنها وتقرره المدرسة عليها ولقد كتبت وأنا فى السنة الثالثة (١٣٢٨ — ١٣٢٩ هـ) هذه الرسالة (الأدب العصرى فى مصر) والآن رأيت أن أقدمها للطبع اكبارا لعمل الصبا وحفظا لآثاره وليرى الناس منها ما تدخره هذه المدرسة لمصر من أبنائها الذين تعنى بهم العناية كلها

ولا ريب انه حدث فى الأدب من بعد تأليف هذه الرسالة ماحقه أن يكتب فيه وتنطوى عليه بطون الكتب التى تبحث فى هذا الفن العصرى غير انى رأيت أن يراها القراء كما كتبها المؤلف الطالب واذا أحسست منهم ارتياحا لها وأنسا بما يكتب فى الأدب العصرى عمدت الى تأليف كتاب جامع تكون هذه أساسه ومبدأ ما يبنى عليه والله حسبي ونعم الوكيل « محمد سليمان »

(متخرج من القسم العالى
بمدرسة القضاء الشرعى)

ومدرس فيها

مقدمة

هذه رسائلى فى الأدب العصرى . وقد رأيت أن أذكر ما صنعته فيها

نقلت عن أناس ما اقتضى المقام نقله ورأيت من الأمانة أن أكتب ما أنقله بحروفه لا أصلح فيه غلطا ولا أصوّب خطأ لان صاحبه لم يتخذني أستاذا أعلمه فنّ الانشاء وأنا لم أنقل كلامه تعبّدا بلفظه ولا شغفا بنظامه . بل أردت منه المعني وقصدت ما احتواه من غرض لم يستره غلط اللفظ ولا شوّهه عوج الكتابة — ولهذا أعلن براءتى من كل ما فى رسائلى معزوّا الى غيرى اذا ظهر فيه غلط أو أخذ عليه القارئ شيئا

كذلك رأيت كلمة (الطبيعة) يستعملها العصريون نقلا عن الفرنجة في هذه المعانى المعروفة التى تمثل الارض وخضرتها والجبال وضخمها والروض وحسنه والنهر ورواءه والشمس فى الأصيل والشفق فى حمرته والقمر فى لمعته والنجوم فى بريقها والسماء فى صفاء أديمها وهكذا من كل ما يسمونه مناظر الطبيعة فوجدت أن هذه اللفظة صارت تؤدي هذا المعني واضحا وليست بمعيبة ولا بمحجور علينا وضعها لهذه الأمور فسرت وراء الكتاب فى استعمالها ونسبت اليها فقلت (طبيعى) ولم أقل (طَبَعى) كما يقتضيه القياس لئلا تشتبه بالنسبة الى الطَّبَع بمعنى النقص ولانى رأيت كثيرا من فحول المتقدمين والمتأخرين ينسبون اليها كذلك والعرب أنفسهم يتساهلون فى النسب خصوصا هذا الباب باب فَعِيلة و فُعَيلة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

الأدب العصرى

الأدب هو الظرف وحسن التناول وما يتأدب به المرء يسمى أدبا لانه يأدب الناس الى المحاسن وينهاهم عن المقابح

هكذا كتب صاحب لسان العرب . وبقليل من التوسع يمكننا سحب كلامه على مايتعارفه الناس من معنى الادب الآن وما يتبادر اليهم من الكلمات المستعملة لديهم امثال حياة أدبية . وشجاعة أدبية . والامة راقية فى آدابها . وحياة الامة المادية والادبية فان لهذه الالفاظ دوائر تنتظم فيها الحياة الصحيحة والاخلاق الحسان وآداب العلوم التى هي زبدتها وخلاصتها وآداب اللغة فى رقيها وانحطاطها وسعتها وانكماشها وما تعاقبته من الاطوار والادب الذى يصير به المرء أديبا من امساك الكتاب وامساك القلم . يمسك الكتاب يقرأ فيه الشاهد والمثل والنماذج الادبية . ثم يمسك القلم يحكي ما تعلم

وينظم على وفاق ماتأدب

واذا رجعنا البصر فى تفسير الأدب بالظرف حملناه على الفنون الجميلة التى تنتظم الشعر والموسيقا والكتابة الادبية . والخطب المثيرة والمحاضرات الرقيقة والمساجلات الظريفة ـ وهذه علوم الادب . تبحث فى مقدار روح الامة الادبية ووجهتها اليها ومبلغ نموها فيها ـ وان شئت فقل ان علم الادب هو علم لذائذ النفس الصحيحة اذنفس الاديب لاتحيا الا بين الفنون الجميلة حيث الموسيقا تطربها . والشعر يلذها . والخطب تثيرها . والمحاضرات تسليها

ولتحبّب الأدب من النفوس كتب فيه الكاتبون وأطنبوا . وشغف به العلماء فأبدعوا فيه وأغربوا . وهاهم أولاء فى صدر التاريخ الاسلامي يقعدون للأملاء فيه ويجلسون لتحريره وتحبيره ويضربون آباط الآبال الى سفوح الجبال وممارج الرمال تحت السماء وفوق الغبراء تهزّهم الشمالات وتصهرهم الساخنات حيث الخيام والقباب فيهما البادون فى الاعراب يتناشدون ويرجزون ويتطارحون ويغنّون فاذا ألقوا عصيّهم نقلوا عنهم الطرف . وقيدوا منهم ماظرف ولطف . ثم يرجع المنتجع منهم

حامدا غبّ السرى وقد قرّت نفسه ونفح أهل حاضرته بالتحف الأدبية والنوادر الشعرية

كتب العلماء فى الأدب كتبا سارت على وجه الدهر وكثرت كثرة لم تبلغها اخوتها فى الفنون الأخرى حتى اننا لنقرأ ونسمع عن مئات الكتب فى علم الادب ويقول المؤرخون ان الدهر سطا عليها والاهمال دبّ اليها حتى لم تبق لنا منها الا مصاصة كمصاصة الاناء

فشغف الناس بعلم الأدب ألهب الأدباء على الادمان منه والانقطاع اليه والتأليف فيه حتى كثر كثرته ولا عجب فالادب حياة النفس ولذة الرّوح ومنفّس كرب الحياة

يجلس البائس الى كتاب الادب فيسلو ويقرأ فيه الحزين فكأنما يشقّ عن قلبه شغاف الحزن ويتروّح به المكروب فينفّس عنه كربته وهو فى كل ذلك (خيال ناطق) يسمع قارئه شعر البدو ونثر الحضر وحداء الجمال وغناء ربات الحجال ويريه الملوك فى مجالسهم والندامى فى منازههم ويسير به الى صدر التاريخ فيشقّ له عن خافيه ويكشف له مابطن فيه ولا يزال يحتال على القارئ حتى يخرجه من عالم المادة المقبوح

ويزلقه الى خطيرة الأنس والتبسط فيطوف به سباسب الغامرة وحواضر العامرة ويهوي معه من السماء الى قرار الغبراء ويطير به الى عالم الافلاك ثم يهبطه الى مقر الاسماك

وهو فى كل ذلك يريه من آيات البلاغة ومعجزات الصناعة ماتقرّ به عيناه

فعلم الأدب بعد هذا البيان خليق بالاكرام وجدير بالاعظام وهذا ما حدا بنا الى ان نكتب رسالتنا فى الادب العصرى فى مصر بعد ما رأينا نفحة هبت عليه فأخذت بيده ورفعت من مناره

ولولا أننى أصبحت أكره المقدمات التى يكتبها الكاتبون عن مبلغ الأدب فى زهو الدولة العباسية وما ينقله الواصفون من الجمل المترادفة والحكايات المعروفة لقلت قولا بديعاو نقلت نقلا طريفا غير انى أقول ان الادب بعد ان تهلهلت حواشيه وهذّب حوشيه باشراق شمس الاسلام على بلاد العرب زها وأينعت ثمراته وطاب جناه فى أوائل الدولة العباسية وما قاربها من أواخر الدولة الاموية وكان فى ذلك الزمن نديم النفس وشقيق الروح. كتابة كشذا الروض فى مقتبل الربيع. وشعر

كأنه نسيم الصبا هبّ من ناحية الأحبّة يتروّحه العاشقون ومحاضرات ونوادر تنسى المرء نفسه فى ساعة الحساب . فلما تقدمت الدولة العباسية ودخلت الصناعات فيها انتحى الأدب ناحيـة أخرى اقتنصه فيها بازى البديع فسلسله فى قيد من السـجع ووكل به باردا من الطبع ثم تركه فى ظلام العصور الوسطى يتفزّع ويتململ ويتصفح وجوه الناس يسألهم عن حرّ كريم يعصمه من أمر الزمان ويقيه عناء الأسر فما تعرّف مغيثا ولا لبّاه كمىّ . وصادفه فى عرض الناس كريمان استصرخ بهما فكان لصراخه قرع الظنابيب فقام ابن معتوق وشمّر ابن مطروح وآليا لتنصرنّه أو تفرى غلاصم غير أن صنيعهما كان كصرخة فى واد أو فصّ ملح ذاب فى ماء وهجم جيش الجهل عليهما فزحزحهما وأطفأ ريح الجمود مصباحى المصلحين ـ وما زال الأدب فى مغناه المؤلم حتى انتدب الله جماعة فزعوا له من أشداء القصريين وفرسان الحلبتين ومبرّزى الصناعتين فشدّوا شدّة الأبطال وتساندوا فى مواقف القتال فما هى الا عزائم الرجال حتى نكبّوا به عن طريقه ورجعوا

به الى حاله الاولى بعد ان كسروا قيوده التى قعدت به واغلاله التى عاقته عن التقدم واستباحوا حمى البديع وأخفروا ذمة السجع والتكلّف ونادوا لينصرنّ الله الأدب وليجعلننا غالبين

وكان فى طليعة هؤلاء أمراء الكلام فى دولة اللغة الآن فمنهم فى مصر محمود أفندى صفوت الساعاتى ومحمود باشا البارودى وابرهيم بك اللقانى وابرهيم بك المويلحى والشيخ على يوسف والسيد عبد الله نديم وفى العراق عبد المحسن الكاظمى وعبد الغفار الاخرس والسيد محمد النجفى والشيخ الطباطبائى وفى الشام نصيف اليازجى والمعلم بطرس كرامه والشيخ عبد الغنى الرافعى وابنه عبد الحميد بك وابن هلال الدمشقى ورائد هؤلاء ومقدمهم السيد جمال الدين الافغانى وحامل رايته محمد عبده وعلى ساقتهم الشيخ عبد الكريم سلمان غفر الله لهم ورضى عنهم أحياء وأمواتا

ومن ثمّ عادت للغة حياتها ونضر الأدب وبلغ فى ثلاثين عاما مابلغه أخوه القديم فى مائتين ونبغ الشعراء والكتّاب وتطلعت رءوس الأدب وسار الأدباء فى أودية ليس لأسلافهم بها من علم وطرقوا فنون الكلام واستنزلوا المعانى العالية الى

الالفاظ العصرية ونقّبوا عن المعانى الدقيقة والألفاظ الرقيقة والعبارات الرشيقة واستجلوا كنه البخار واستنطقوا الكهرباء ووصفوا القاطرات والسيّارات والطيّارات ونظموا فى أمور جهلها الشعراء الأقدمون فى اجادة وطول نفس جارين مع الزمن متنزلين الى الناس فى ألفاظهم سامين عنهم بمعانيهم - نطقوا بالحكم وشعروا فى العمران والسياسة ودعوا الى الآراء وأيدوا الأحزاب ونادوا بالمقالات ولم ينسوا زينب والرباب فى قباب القفر اليباب ولا أغفلوا العيس والحداء ولا عقوا السبسب والبيداء بل وقفوا عند الأطلال الخوالى غير مخدوعين عنها بشبرد والكونتنتال وذكروا السيوف والتروس والخوذات والمغافر والرماح والقسىّ بجانب المسدسات والبنادق والديناميت والمدافع لم تشغلهم قواطر البخار عن قواطر القفار ولا اكتفوا (بامبراطور) الألمان عن ذكر الملك النعمان ولا ألهتهم يلديز وعابدين عن الخورنق والسدير

وجملة القول ان لله درّ أدباء العصر رفعوا راية الأدب العصرى فطاولت عَلَمَ الادب القديم وكادت تطول عليه غير ناسين فضله عليهم ولا عاقّين أدباءه الدارسين

وانا أعني في رسالتي هذه بالأدب العصري ما أدركته سنيّ الأدبية أي ما رأيته في حياتي منذ تطلعتُ الى فنّ الأدب وشغفت بآثار الأدباء وهذا ما أريد أن أقارن بينه وبين الأدب القديم بكلمة صغيرة أقدمها بين يدي الكتاب

ولنختلس نظرة نسارق بها لسان ميزان الأدب وقد وازنّا بين الأدب العصري والأدب القديم وأكاد أراه يترقرق ذات اليمين وذات الشمال

انني أوازن بين طبقة من الأدباء يقوم بها منار الأدب العصري وبين طائفة أخرى رفعت ذكر الأدب في عصرها بل اخص ذلك بين بلد وبلد فاذا وازنت بين الأدب العصري في مصر فانما أوازن به أرفع عصر زها فيه الأدب في العراق

انني لو نظرت في كتب الأدب القديم على كثرة عديدها وتمددت منها كتب عصر خاص أجدها تتناقل ولا تختلف كثيرا الا في الاسماء التي توسم بها . هذا كتاب الأغاني يحكي أدبا خاصا فالكتب التي في طبقته لو وكل لي الحكم عليها لما رأيت فيها زيادة عن الأغاني الا بقدر ما فيه من طرق الأخبار وأسانيد الحوادث فلو حذفنا منه السند

والطريق وحذفنا منها ماذكره الأغانى لكان منهما كتاب لايكبر عن الأغانى كثيرا - الأغانى كتب في أدب عصور كثيرة. كتب فى الجاهليين والاسلاميين الى زمن آل بويه فأفرد منه للعباسيين فى زمن زهوهم نصفه على اكبر تقدير ثم كل الى أن أكتب لك قدره فى الأدب العصرى وأنا أصدقك . ومالى أذهب بعيدا وهذه الصحف السيّارة يستخرج المؤلف منها في كل سنة أمثال الأغاني فى الأدب العصرى

الأدباء العصريون سلكوا دروبا ضلّت عن قدماء الأدباء ورأوا أشياء لم يبصروها بأعينهم ولا عجب فالكون فى حركة وتقدّم والمتأخّر يرى مالا يرى المتقدّم خصوصا ما ابتدعه العصريّون من الأدب الصحافى وخلق فنّ جديد يدعى الكتابة الصحافية واسترسال الأدباء فى تقليد الفرنجة حتى أوجدوا الكتابة الروائية ثم انها كانت فى الأدب القديم ولكنها بحال تغاير ماهى عليه اليوم غير أن الأدب العصرى ينقصه فنّ بديع من فنون الأدب الا وهو فنّ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء . ينقصه مجالس الغناء وتطارح الأدباء

والظرف الذى اختص به المتأدبون والخلاعة الأدبية التى كانت تتفتح لها أذهان الادباء وتروع العامة من الناس وان كان عذرهم فى كل ذلك ظاهرا . اذ الروح الادبية لمّا تنفخ فى درع الأمة على صحتها فانّ الأمة ليست متجهة نحو الادب ولاهى شغوفة بالأدباء شغف الأمة العباسية بهم مثلا ولا نرى من أغنيائها ماسمعنا عن مثله من أبى دلف أو يحيي بن خالد أو الفضل ابن سهل ولا رأينا من أمرائها مارويناه مثله عن عبد الملك أو هشام أو الرشيد أو المأمون

وأظن ان شعراء العصر يهولهم ما وقع للعتّابى مع عبدالله بن طاهر

حدث العتابى قال (١)

دخلت على عبدالله بن طاهر وهو يريد مصر فقلت السلام عليك أيها الامير فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ثم قال وما الخبر ؟ فقلت . بيتان أعملت البارحة فكرى فيهما

(١) نفحة اليمن

فقال هاتهما فقلت عند ذلك

حسن ظني وحسن ما عوّد الله يقينا بك الغداة أتى بي
أيّ شيء يكون أحسن من حسن يقين أهدى اليك ركابي

فقال أحسنت والله . ياغلام احمل اليه ثلاثين ألف درهم قال والله لقد سبقني بها الغلام الى منزلى فلما كان من الغد دخلت عليه فقلت السلام عليك أيها الامير فقال وعليك السلام ما الخبر ؟ فقلت . بيتان من الشعر اعملت البارحة فكرى فيهما فقال هاتهما فقلت

وجهى قد يكفيك فى حاجتى ورؤيتى تكفيك عن السؤال
وكيف أخشى الفقر ماعشت لى وانّما كفّك لى بيت مال

فقال أحسنت والله . ياغلام احمل اليه ثلاثين ألف درهم فسبقني بها الغلام أيضا الى منزلى فلما كان فى اليوم الثالث دخلت عليه ورجله في الركاب فقلت السلام عليك أيها الأمير فقال وعليك السلام ما الخبر ؟ فقلت . بيتان من الشعر أعملت البارحة فكرى فيهما فقال هاتهما فقلت

ان خير الثياب يخلقه الدهر وثوب الثناء ثوب جديد

اكسنى ما يبيد أصلحك الله فانى اكسوك مالا يبيد

فقال أحسنت والله . يا غلام احمل اليه أربعين ألف درهم

وامثال هذه الحكاية كثير فى كتب الادب كما وقع لهشام مع حمّاد وللمأمون فى كلمة (سداد) وللواثق مع المازنى غير انا نثبت هنا كتاب الرشيد فى ذلك (١)

فانه لما قدم الرشيد على الفضيل بن عياض لزيارته وهمّ بالخروج قال له الفضيل يا أمير المؤمنين انى أخشى أن يكون العلم قد ضاع قبلك كما ضاع عندنا

فقال الرشيد . أجل انه ماقلت

فلما قدم الرشيد العراق كان أول ما ابتدأ فيه النظر ان كتب الى الأمصار كلها والى أمراء الاجناد

أما بعد فانظروا . من التزم الآذان عندكم فاكتبوه فى ألف دينار من العطاء ومن جمع القرآن وأقبل على طلب العلم وعمر مجالسه ومقاعد الأدب فاكتبوه فى ألفى دينار من العطاء

---

(١) من كتاب الامامة والسياسة

ومن جمع القرآن وروى الحديث وتفقه فى العلم واستبحر فاكتبوه في أربعة آلاف دينار من العطاء وليكن ذلك بامتحان الرجال السابقين لهذا الامر من المعروفين به من علماء عصركم وفضلاء دهركم فاسمعوا قولهم وأطيعوا أمرهم فان الله تعالى يقول (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) وهم أهل العلم اه

قال (ابن المبارك) فما رأيت عالما ولا قارئا للقرآن ولا سابقا للخيرات ولا حافظا للمحرمات فى أيام بعد أيام رسول الله وأيام الخلفاء والصحابة أكثر منهم فى زمن الرشيد وأيامه لقد كان الغلام يجمع القرآن وهو ابن ثمانى سنين ولقد كان الغلام يستبحر فى الفقه والعلم ويروى الحديث ويجمع الدواوين ويناظر المعلمين وهو ابن احدى عشرة سنة اه

هذه سنة الله فى خلقه جعل الذهب قائد زمام الادب وترى ذلك فى أجلى مظاهره أيام كان الامراء عضد الادباء والأدب فكاهة الملوك حتى كثر الأدب والأدباء كثرة تفخر بها تلك الايام حتى قيل كان سيف الدولة يجود والمتنبي يجيد

أما فى زمننا فقد ندرت هذه الوقائع وعزّ على المؤلفين أن يدوّنوا جوائز العطاء لاستنهاض الأدباء حتى قال الأديب محمود أفندى صفوت الساعاتى

ولقد بلوت العالمين فلم أجد ذا ثروة يوما وفيه رجاء
ولئن قصدت كريمهم بقصيدة يوما فمدح المدح منه عطاء
أفنيت عمرى فى طلاب أولى الندى
متعللا بعسى يجاب دعاء

اللهم الا نوادر يخجل المؤلف العصرى أن يدوّنها بجانب تلك الأعطيات العظيمة ولقد سمعنا منذ سنين ان (نظارة المعارف) كانت تضع جوائز لمن يسبق من المنشئين فى اجادة ما تقترحه عليهم ولكن باب هذه السنة الحسنة أوصد كما أغلق ذلك الباب الذى فتحه الشيخ محمد عبده فى الازهر وكان رحمه الله ينشط أهل الازهر كلهم بـ (٦٠٠) جنيه توزع على النبغاء فى العلوم ولقد رأينا نهضة اذ ذاك فى الأزهر نامت بعدها همم الأزهريين ورجعوا الى عادتهم الأولى حينما رجعت عنهم المكافآت وها هى تى مدرسة القضاء الشرعى درجت على تلك السنّة القويمة فترى بين

جدرانها علوما تموج كلما برق الذهب

هذا — وان وجهة الأمة اليوم هي السياسة والاشتغال بها وتلاوة الصحف والتحيّز للأحزاب فهذه المعاني هي التي يكثر فيها الكلام الآن ويعنى بها وتدبّ الى النفوس دبيب الأدب في أمة العباسيين يوم كانت مجالس الأدب تعقد ومشاهد المناظرات تقام وسوق الشعر تروج يوم كان العلماء يتلهّفون على مجالسة العلماء ويتشوّق الأدباء الى مطارحة الأدباء شوق الظمآن الى فرات الماء فيتمنى الخليل مقابلة ابن المقفع ويشوق ابن المقفع الى الاجتماع بالخليل ثم يتصدّى لذلك أمير من بني المهلب فيجيب سؤل كل منهما وقد أخلى لهما بيتا في داره فاذا تلاقيا تناظرا ومكثا ثلاثة أيام بين مدارسة علم ونظر في رأى ثم يتفرقان فيُسأل الخليل عن ابن المقفع فيقول عنه انه كثير العلم وعلمه أكبر من عقله. ويقول الآخر ان الخليل كثير العلم وعقله أكبر من علمه. ذلك زمن كانت الأمة تنفخ في أدبائه روح الحميّة على الأدب والتهالك على أن يبلغوا به أرقى مراقيه حتى يعزّ على أبي نواس ومسلم وأبي العتاهية اذا اجتمعوا أن يتفرقوا ولا يسمع الناس عنهم شعرا

فى اجتماعهم هـذا يتروّحون به . بل ان تلك الروح سرت الى أجسام الحاكة والقصّابين وأهل الصناعات البعيدة عن الشعر ولا يخفى على أديب اسم أبى الحسين الجزّار ومحمود الورّاق وأبى تمّام ساقى الماء فى جامع عمرو وغيرهم ممادونته كتب الأدب عن أصول كثير من فحول الأدباء وانما نسجّل هنا حكاية عن احـد الحاكة فى عصر المأمون (١)

فقد رفع الى المأمون ان حائكا يعمل السنة كلها لا يتعطل فى عيد ولا جمعة فاذا ظهر الورد طوى عمله وغرّد بصوت عال

طاب الزمان وجاء الورد فاصطبحوا

ما دام للورد أزهار ونوّار

فاذا شرب مع ندمائه على الورد غنّى

اشرب على الورد من حمراء صافية

شهرا وعشرا وخمسا بعدها عددا

ولا يزال في صبوح وغبوق ما بقيت وردة فاذا انقضى الورد عاد الى عمله وغرّد بصوت عال

---

(١) من ثمرات الاوراق

فان يقضِ ربى الى الورد أصطبح
وان متّ والهفى على الورد والخمر
سألت إله العرش جلّ جلاله
يواصل قلبى في غبوق الى الحشر

فأمر المأمون أن يدفع له فى كل سنة عشرة آلاف درهم فى زمن الورد وقال لقد نظر هذا الرجل الى الورد بعين جليلة فينبغى أن نعينه على هذه المروءة

كبر الأدب وارتفعت قيمة الأدباء حتى ان الملوك خضعوا لفريق منهم وهم الشعراء واحتاجوا الى بقيّتهم وهم الكتّاب والعلماء الذين يقومون على تثقيف عقول أممهم.
ونوادر اعظام الشعر واكبار الشعراء لا يكاد كتاب أدبى يخلو منها ونتقل عن أبى زيد عبد الرحمن بن مقانا القنداقى الأشبونى انه دخل على ادريس بن يحيي الملقب بالعالى ملك الأندلس فأنشده قصيدته التى يقول فى مطلعها

البرق لائح من أندرين ذرفت عيناك بالماء المعين

فلما بلغ الى قوله

انظرونا نقتبس من نوركم انه من نور رب العالمين

وكان الملك يحتجب تقليداً لخلفاء بنى العباس المتأخرين أمر حاجبه أن يرفع الحجاب عنه وقابل وجهه وجه الشاعر دون حجاب وأمر له باحسان جزيل (١)

هكذا كان للشعراء تلك الصولة وللشعر ذلك التأثير

روى (٢) أنه كان بين السميسر الشاعر وبين بعض الرؤساء المريّة شيء لمدح مدحه فلم يجزه عليه فصنع ذلك الممدوح دعوة للمعتصم بالله ابى يحيي بن صمادح احتفل فيها بما يحتفل مثله فى دعوة سلطان مثل المعتصم . فصبر السميسر الى أن ركب السلطان متوجهاً الى الدعوة فوقف فى الطريق فلما حاذاه رفع صوته قائلا

يأيها الملك الميمون طائره ومن الذى مأتم فى وجهه عرس
لا تقربنّ طعاما عند غيركم ان الاسود على المأكول تفترس

فلما سمعه المعتصم قال صدق والله . ورجع من الطريق فقسد على الرجل كل ماعمله

ومدح عباد بن الحرش رجلا من كبار أصفهان فمطله بالجائزة ثم أجازه بما لم يرضه فرده عليه وبعد ذلك بزمن عمل

(١) نفح الطيب ج (١)   (٢) بدائع البدائه

الرجل دعوة عظيمة غرم عليها ألوف الدنانير لأبي دلف العجلي على أن يجيء اليه من الكرج فلما جاء الموعد خرج عباد ليلا ووقف بين الكرج وأصفهان فلما مرّ أبو دلف وهو يساير صاحبا له أومأ عباد الى صاحبه رافعا صوته يقول

قل له يا قرينه　　　قال عباد ذا سمج
جئت في ألف فارس　　　لغداء من الكرج
ما على النفس بعد ذا　　　في الدناءات من حرج

فقال أبو دلف صدق والله أجيء من الكرج الى أصفهان حتى اتغدّى والله ما على هذا مزيد من دناءة النفس ثم رجع من طريقه ففسد على الرجل عمله وعرف من أين أتي وتخوّف من عباد فسيّر اليه جائزة سنية مع جماعة فلم يقبل وأنشد

وهبت ياقوم لكم عرضه　　　كرامة للشعر لا للفتى

قالوا جزاك الله خيرا فقال

لأنه أحرص من ذرّة　　　على الذي تجمعه في الشتا

ونحن نرى في زمننا الآن الصحف السيارة حلت محل الشعر في ذلك الزمن القديم وان كان تأثيرها لا يساوي تأثير

الشعر اذ ذاك ولا تشترى بما كان يشترى به

ولضعف روح الأدب فى عصرنا خمل فن المراسلة الفكيهة والمناظرة اللذيذة خمولا نرجو أن يزول أثره بما نشاهده من الحياة الجديدة التى دبت فى الأدباء — أهدى الشيخ على الليثى سفط عنب الى حفنى بك ناصف فكتب اليه

وصل يا مولاى الى هذا الطرف . ما خصصت به العبد من الطُرف . قفص من عنب كاللؤلؤ فى الصدف . تتألق عناقيده كأنها من صناعة النجف . ولعمر الحق أنها تحفة من أحلى التحف . لا يعثر عليها الا بطريق الصدف . فقابلناه لثما بالأفواه . ورشفا بالشفاه . واحتفينا بقدومه كل الاحتفاء . ولم نفرط فى جنبه عند اللقاء . بل حللنا له الحبى . وقلنا أهلا وسهلا ومرحبا . وأوسعناه عضا ولثما . وتناولناه تجميشا وضما . وحفظنا فى صدورنا سره المكنون . وطويناه فى غضون البطون فطربت من تعاطيه الأرواح . ولا غرو فهو أصل الراح وانتشينا ولم نحمل وزرا . وثملنا ولم نذق طعما مرا . فهو كبيان مهديه سحر ولكنه حلال ولعب الا أنه كمال ...... الخ

فكتب اليه الشيخ على يقول

وصل كتاب القاضي الفاضل وأرّج الأرجاء بلطيف فواضله وشريف الفضائل وما كنت أظن أن يتحصل من زبيبة خماره حتى رأيت الفاضل سبكه فى قوالب شتى وصاغه ولولا أن يقال فلان جفا وما احتفل بكتاب أخيه ولا احتفى وان كان شيبي يلزمني ذلك كما ان شباب البيك يسلك به أقوم المسالك لسترت عي وما أشرت ورأيت طي خيرا مما نشرت وجعلت كتاب سيدى فى عنق تميمه وروّحت النفس تيمنا بمس آياته الكريمه .... الخ وهناك مراسلات بين محرّم والكاشف وقد قرأت فى ديوان « نسيم » انه امتدح « محمد بك هلال » بأبيات جعل جائزته عليها ساعة وسلسلة من ذهب فلما بلغه أنه اشتراهما كتب اليه بيتا من قصيدة حافظ

انى فتحت لها صدرا يليق بها ‏ ‏ ‏ ان لم تُحلوه فالرحمن حلاه

فلما قرأه محمد بك بعث اليه بهذا البيت

وارحمتاه على صدر يليق بها ‏ ‏ ‏ الدهر أخزاه والرحمن أخلاه

فقال الشاعر

ان كان ربى أخلاه فصاحبه ‏ ‏ ‏ يرى «هلالا» بأزهى الدر حلاه

فقال البيك

الله أكبر من أنا نحاربه　　فلا جدال بما يقضى به الله

فقال الشاعر

لولا التقى كنت معبودى ومعتمدي

اذ ليس غيرك بين الخلق أخشاه

فقال البيك

خذها نعمت بهاياخير من علقت　　بأنفس الودّ يمناه ويسراه

فأجابه

أسلم سلمت « أمير المؤمنين » لنا

يا خير من بسطت لليمن يمناه

ومما ينقص الأدب العصرى تطرّق الخلل اللغوى الى بعض تراكيب الأدباء وان كان الغالب انه خطأ غامض وتسرّبُ كثير من الالفاظ الدخيلة الى كلامهم وخلط بعض الأدباء فى أسماء المسميات الحديثة واستسهال بعضهم كتابتها بأسمائها الفرنجية فظهر شىء فى اللغة العربية يوشك أن يكون كالقزعة فى وجه السماء وهم معذورون فى كل هذا اذ أدباء اليوم ليسوا بسليقيين وانما هم من العامة الذين يعانون فى تعلم اللغة العربية ما يعانيه المرء فى تعلم اللغة الفرنسية مثلا وربما

كانت هذه أسهل من تلك التى هى كالبحر الزاخر لا يدرى قراره أو كالزئبق لا يمسك باليـد . على انه من نحو ثلاث سنين قد هبّ الأدباء هبة نقّبوا فيها عن الأغلاط وفتّشوا بطون الكتب عن مصححاتها وتصدى لذلك علماء عريقون فى اللغة فألفوا فى الدخيل وتعرضوا للأصول العامية وقامت ضجة عظيمة بين خريجى « دار العلوم » على تسمية المسميات الحديثـة لا تزال ترنّ فى آذاننا الى اليوم وتشعّبت فى هـذه المسألة الهامة الآراء وخطب فيها الخطباء كل يدلى بوجه حتى استقروا أخيرا على هذا الرأى

يبحث فى اللغة العربية عن أسماء للمسميات الحديثة بأى طريق من الطرق الجائزة لغـة فاذا لم يتيسر ذلك بعد البحث الشديد يستعار اللفظ الأعجمى بعد صقله ووضعه على مناهج اللغـة العربية ويستعمل فى اللغة الفصحى بعـد أن يعتمده المجمع اللغوي الذي سيؤلف لهـذا الغرض

وقد قام « المجمع اللغوى » بعـد ذلك بوضع الأسماء التى بلغت الآن زهاء الـ « ١٢٠ » اسما

وينقص الأدب العصرى أن أدباءه لا يعنون بتدوين آدابهم

ولا تقوم طائفة منهم بتأليف كتب تمتع قارئها بنوادرهم وأشعارهم وأقوالهم وفكاهاتهم ونورد نموذجا منها مما وقع للشيخ على الليثي سيد ندامى مصر ـ حدثني الشيخ على الشربيني قال . دخل الشيخ على الليثي على اسماعيل باشا وهو على صبوحه مع اسماعيل المفتش فى حديقة المنتزه . قال فرأيا التفاح وهو يتألق على أغصانه ويفوح طيب شذاه من أردانه فهيأ لهما الشراب أن يتخذا منه كؤوساً يحتسون بها فجاءهما البستاني بتفاحة لم يجدا لها مدية يحتانها بها الامدية الشيخ على فأعطاها اياها مكرها فانكسرت فى يديها . فغضب لذلك غضب النديم وحرد عليهما حرد الظريف فاقترح عليه المفتش أن يقول فى هذا المعنى شعراً وله مايشاء من العطاء فقال لساعته (فى الخمر)

عزّت على الندمان حتى انهم تخذوا لها كأسا من التفاح
ولدى اتخاذ الكأس منه عديتى لان الحديد كرامة للرّاح

وحدثني السيد محمد عفيفي قال ذهب الشيخ على الى زيارة سلامه باشا . . أحد كبار الحاكمين ليعوده فى مرضه وكان قد شغل عنه زمناً فى بيت الملك حتى وجد عليه الباشا فلما ذهب الشيخ ليزوره وعلم الباشا بالزائر أبى على الخدم أن يدخلوه

وأمرهم أن يعتذروا عن سيدهم بأنه شارب (شربة) وكان الوقت صيفا ففطن الشيخ للمسألة فأرسل اليه فى رقعة

شرب الشرب في الصيف عاده   وله على الوجه علامه
شف الأطباء بتقول كل خريا بسلامه

فصاح الباشا أدخلوه أدخلوه قبل أن يقاب عليَّ الدنيا

وكان في اقليم الدقهلية البيك أبو نافع اميّا يقول شعرا كشعر ذلك الرجل الذى كان يتشبه بالحريرى في مصر ويزعم أنه يحاكيه . وكان يدل بنفسه ويحشرها فى زمرة الأدباء كتب مرة فرخا من الورق الى ابراهيم بك هلال يطلب اليه أن يرسل له شيئا من البطيخ والشمام فرد عليه بقوله

البطيخ مع ابن عمه . فى حضانة أمه . وعند الفطام . يرسلان لذلك المقام

فغضب الأغا غضبا شديدا . وقال أوأرسل اليه فرخا من الورق مكتوبا من الجهتين وهو يضحك على ويستهزىء بى فيرد على كتابي بسطر واحد ؟ ودخل الأغا عليّ عزيز مصر السابق حينما ساح فى الوجه البحرى وزار مدينة المنصورة فقال

بسم الله ما شاء الله وما توفيق الا بالله

مسيك بالخير يا أفندينا ياللى شرفت الزينه

ومن شعره

حبيبي مفيش كده فى الطول ولا في العرض

الله لا اله الا هو الحى القيوم ... وما فى الارض

ولما قيل له ان الشطرة الثانية طويلة جدا قال لناقده والله لولا ان كلمة الارض وقفت بى لما وقفت هنا

ومنه

بلاَمدير عدروس سدة القطع بالروس

وقد ألح على السيد على أبي النصر باشعاره هذه ضارعا اليه أن يراسله وانه عربى سليق فبعث اليه السيد بقصيدة مدح يتعرض له في كثير منها مطلعها

ما احسن الشعر ان فاهت به العرب

فهم لانشائه أهل ولا عجب

ان البلاغة كنز هم جواهره

دان القريض اليهم أينما ذهبوا

وله نوادر كثيرة — وقد كتبت نوادر الشيخ على

والبيك لأنهما فى عصر واحد ولأرى القارىء نوادر الادباء الحضريين ونوادر الريفيين - على أن نوادر الأدباء كثيرة تجرى بينهم في هذا العصر نرجو أن يعنى بجمعها الكتّاب ويعيدوا لنا عصر أبى الفرج وأبى على وأبى العباس وابن عبد ربه . نعم ان الجرائد والمجلات تسدان هذا النقص وتقومان فيه مقام الكتب الأولى غير أنهما لا يسيران على وجه الدهر ولا يكتبان فى الأدب خاصة ولا يحفل الناس بحفظهما حفلهم بادّخار الكتب . وقد شام برق فى هذا فكتب محمد بك دياب جملة صالحة فى الأدب العصرى وأدبائه وقفاه احمد الهاشمى فى كتابه (جواهر الأدب) وان كانت له غارات شنّها بقلمه البتار على كتاب دياب بك فسبا كثيرا من جواهره وقد ظهر مؤلف جديد فى شعراء العصر وتكاد مجلة الزهور تخصص للأدب وكذلك كتب أخونا الأديب الشيخ احمد ابن أمين فى اللغة العربية من عهد محمد على الى الآن فليت الأدباء يكثرون من هذه الكتب النافعة ويرفعون لنا ذكر العربية كما رفعها من سلفهم حتى كان من الأمثال عندهم ما ذكره أبو العباس المبرد ثلاثة يحكم لهم بالنبل حتى

يدري من هم . وهم رجل رأيته راكبا . أو سمعته يعرب . أو شممت منه طيبا . وثلاثة يحكم عليهم بالاستصغار حتى يدرى من هم . وهم رجل شممت منه رائحة نبيذ فى محفل أو سمعته فى مصر عربى يتكلم بالفارسية . أو رجل رأيته على ظهر طريق ينازع فى القدر [1]

هذا وقد أخذ الادباء يقومون بما أهملوه من وصف المخترعات فانهم أجحفوا بها ولم يؤدوا للقطار ماأداه أسلافهم للجمال ولا تفننوا فى وصف المستحدثات مع انها لو وجدت فى الزمن السابق لأتى فيها الأدباء بالمعجزات - كما ان أدباء اليوم أهملوا كثيرا فى قول الشعر القصصى

ولكن يظهر انهم أحسوا بهذا النقص فأخذوا ينظمون فى الفنين وشوقى بك قائد الشعراء القصصيين كما انه وصف الطيارات بقصيدة رشيقة مطلعها

قم سليمان بساط الريح قاما ملك القوم من الجو الزماما

(١) الكامل ج (١)

حين ضاق البرّ والبحر بهم

أسرجوا الريح وساموها اللجاما

وكنت أظن ان الشعراء قصرّوا فى وصف القطار فصنعت فيه قصيدة وهممت ان أنشرها وأعتب عليهم على الشعراء ذلك التقصير ولكن رأيت للسيد عبدالله نديم فى صفة القطار شعرا وكذلك لحفنى بك بل للشيخ الشنقيطى ونورد نتفا من ذلك وهاهى تلك قصيدتى فى القطار

يأيها الطائر الميمون مرحمة بالارض انك تطويها على عجل

رفقا بها سائرا قد كان يؤلمها سير الجمال فأضحت منك فى ملل

قربت حِبّي وكاد البعد يقتلنى ياسيّد الطير قد أبلغتنى أملى

قضيت فيك من الساعات أحسنها

لما مررت على البلدان فى رمل

كالبرق تلمحه الأبصار مسرعة

فى رعشة الكف قدهزّت من الشلل

جمت بين بلاد الله قاطبة وما رأيتك فى يوم على مهل

أتعبت نفسك كى نرتاح فاتقدت

في قلبك النار لا للحب والغزل

جمعت في جوفك الضدين واعجبي

الماء والنار في برد وفي شعل

وأنت في هذه الدنيا أخو شعث

مسوّد الوجه محمول على « عجل »

سار القطار فسار الريح يسبقه خلف الريح مسبوقا وفي خجل

كأنما الأرض تأبى أن تلامسه فسيّروه على القضبان في سبل

ولو رأى الناس أن يجزوه عادلة لسيّروه على الهامات والمقل

وقال الشنقيطي

ولكن على نجب شياطين جنّة

تولدن لا عن طرق صهب ولا دهم

نجائب لم يمكن الى العيس عزوها

ولا هنّ من غرّ الجياد ولا البهم

نجائب ما القيصوم والشيح رعيها

ولم ترع مرعى الخيل والابل والبهم

نجائب ما التنوم والآء أكلها وتأكل سود الصخر باللقم واللهم

نجائب لم ترتع لهدر مخالة

ولا راعها الراعي بضرب ولا نهم

نجائب لم ترع العروض ولا الحمى
ولا الحزن والصمان فى جامل ضخم
ولم تلف فى نجـد ولا فى تهامة
مع الوحش فى روض هوامِلها تهمى

وقال عبد الله نديم

نظر الحكيم صفاته فتحيرا
شكلا كطود بالبخار مسيرا
دوما يحنّ الى ديار أصوله
بحديد قلب باللهيب تسعرا
ويظل يبكى والدموع تزيده
وجدا فيجرى فى الفضاء تسترا
تلقاه حال السير أفعى تلتوى
أو فارس الهيجا أثار العثيرا
أو أكرة أرسلتها ترمى بها
غرضاً فخلت ان ترى حال السرى
أوسبع غاب قد أحس بصائد
فى غابه فعدا عليه وزمجرا

فكأنه المديون جاء غريمه
فانسلّ منه وغاب عن تلك القرى
أو انه شهب هوت من أفقها
أو قبة المنطاد تنبذ بالعرا
لاعجب للنيران اذ يمشى بها
فمن اللظى تجرى الورى كى تخشرا

وسنورد وصف حافظ له فى ترجمته

ويرى الرائى ان الادب العصرى من عهد محمد على الى الآن تطوّر فى ثلاثة أشكال . فقد كان كأدب العصور الوسطى فى السجع البارد والتكلف الثقيل والتعمق البعيد والتعقيد المخل فلما جاء السيد على أبو النصر والشيخ على الليثى واضرابهما ساروا الى أدب الطور الثانى في الدولة العباسية فتوسموا طريق الصاحب فى السجع والتمسك بالبديع والتكلف الذى لا يثقل وتبعهما فى ذلك كثير كحفنى ناصف ومحمود أبو النصر وطائفة كبيرة ممن دوّن كتاباتهم دياب بك . ثم سار الادب سيرا حثيثا نحو الادب القديم الفخم الجميل الذى يسير مع النفس ويسارق الطبع ومن رجالاته كبار أدباء اليوم كالشيخ

محمد عبده والشيخ رشيد رضا والشيخ على يوسف والشيخ المنفلوطى والمويلحى الكبير وأكثر أدباء النادى (نادى دار العلوم) - ومن الشعراء محمود سامى . وعبد المحسن الكاظمى . واسماعيل صبرى . وحافظ . وشوقى . ومطران والكاشف وغيرهم

فكأنّ أول طور من أطوار الأدب العصرى يلتقى بآخر طور من أطوار الادب القديم فى تلك الضعة ثم يتشابه الطوران المتصلان بهما فى صفة التوسط كما يتشابه الطرفان الاخيران فى الاجادة

وجملة القول ان الأدب العصرى فى حال حسن وانه راق نحو الكمال . خصوصا انه يمتاز عن الادب القديم بتلك الصلة الحيّة التى تمدّه من الادب الغربى الذى بلغ غاية يحسده عليها الشرق وأدباؤه - وان من كتّاب الادباء الآن من يطاول عبد الحميد فى كتابته ويصاول الجاحظ فى قدرته ويخلف ابن العميد ويدوس الصاحب بمنسمه

وان من شعراء الادباء من برّز على أبى نواس فى حكمه وخمرياته وفات الشريف الرضى فى فخره وحماسته وتملح حتى

فاق ابن المعتز فى رقته وغزله . ومنهم من زاد اغرابا عن ابن العشرين وغلب شيطانه فى الغريب شيطان الشنفرى

وبين الادباء العصريين روائيون سبقوا صاحب (ألف ليله وليله) وسجاعون لا يعجبهم الحريرى ولا يروق لديهم الزمخشرى

هؤلاء الى أدباء الصحافة وكتّاب السياسة يرفعون منار الأدب العصرى ويعلون فى طنبه ويسيرون به نحو غاية لا يدرك القلم شأوها ولا يعلم الا الله مصيرها

الفنون الجميلة

اسمها يغنى عن تعريفها وانما نعنى بها كلّ فنّ جميل ومعنى بديع يطرب النفس ويأخذها حسنه أخذا يملك عليها مشاعرها حتى تشعر بجماله ويتحرك لسانها بأنه جميل دون ان تنتبه الى تلك الحركة التى قام بها النخاع الشوكى ـ هذه الفنون الجميلة ينتظمها الأدب فى اسمه كما قدمنا وهى : التصوير . والغناء والشعر والكتابه . والخطابه

ريشة المصور . وتلحين المغنى . وايقاع الموسيقى .

وخيال الشاعر . وقلم الكاتب . ولسان الخطيب . أولئك هن اللاتى يثرن كامن النفس ويحسسن منها مكان التأثير فيها فيطرقنه طرقا ويتسلطن عليه تسليطا تقصر عنه مغطسة المنوّم وسحر الساحر

ورجال هذه الفنون هم عنوان رقىّ الأمة وانحطاطها بهم تطرب وبهم تثور وبهم تحيا وبهم تموت . وهم الصق بكل نفس وأعرف بمشاعر الأمة من كل الناس فلا ريب كانوا حواس الأمة التى تحس بها ولذلك فانها تألم لفقد أحدهم ألمها لفقد حاسة من حواسها

الشاعر ينظم فيما تحبه النفوس فيلهيها بالغزل الرقيق ويسليها بذكر العشق والغرام وحالاته فى النفس وآثاره فى القلب . والنفوس عشاقة فتميل اليه

الشاعر ينظم فى الفخر والحماسة فيخيّل للنفوس أنه ملك من السماء أو أسد فى الفضاء ثم يسبك النصائح فى قالب من الخيال ويسجّل التاريخ فى ضرب من الحكايات وأنه من وراء ذلك يذود عن حياض قومه وينافح عنهم ويذكر مفاخرهم وأيام عزّهم . وللنفس فى كل معنى من هذه المعانى أرب . فهو

يكلم النفس بلغتها ويقطّع شعره على دقات قلبها فيجئ موقعا منتظما والنفس حبيبة النظام ثم يسارقها بالخيال وهو السبيل اليها فلا ريب كان للشاعر فى النفس أثر جليل ومقام كبير

أما التصوير فانى أسميه بالشعر الصامت . اذ الصورة البديعة هيكل يترنم بشعر جميل فى معانى الوجود ويعلم الناظرين اليه أخباره وأحواله بأبدع أسلوب فيدعوهم الى العظة والاعتبار ويصيح بهم أن اعملوا فسيرى الله عملكم ويسجّل التاريخ حياتكم على هيا كل التصوير

والتمثيل ضرب من الشعر وفرع من فروع التصوير غير أنه تصوير يقرب من الحقيقة وهو شعر ناطق ولسان صادق . وماعجبت لشئ عجبي لهذا الانسان . لا يلفته الا الخيال ولا ينتبه الا بالتمويه — لقد يمرّ المرء فى طريقه على كثير من الأمور فيشاهدها رأى العين ولا تحرك نفسه الى العظة أو التفكير فاذا جاء دار التمثيل فكر والتعظ وتدبر وانتبه ذلك بأن للخيال دخلا كبيرا فى التأثير فيه . وهذا ما نشاهده أيضا من الكتابة الروائية التى تترك فى نفس قارئها أثر التمثيل . فظهر ان الرواية مكتوبةً أو ممثلةً تؤثر فى القارىء والسامع بما

يريده الكاتب والممثل لأن الخيال مفتاح التأثير

روى أن مصورا نقد آخر لأنه رسم سنبلة ولم يمل غصنها فتحا كما الى الملك فقال ليصور لنا كل واحد منكما مايتقنه من الصور حتى نحكم له بعمله . ثم هيأ لهما غرفة وأمرهما أن يرسم كل منهما على جدار منها بشرط أن يكون الجداران متواجهين ثم أسدل بينهما سترا وضرب أجلا ليوم الحكم

فأما المنقود فقد عصر مخه واستخرج منه كل مخبأة فى التصوير ورسم صورة بديعة متقنة الصنع تكاد تنطق من الاجادة

وأما الناقد فانه اجتهد فى صقل الجدار وطلاه طلاء أصبح به كالمرآة

فلما انقضى الأجل وجاء الملك ليرى رسم كل منهما ومعه عيون دولته ورءوس مملكته أمر أن يزاح الستر من بين الرسمين ليقارنوا بينهما فانطبع رسم الأول فى مرآة الثانى وظهر الرسمان متوافقين فى كل الوجوه غير أن الناظرين شعروا كأن نفوسهم يأخذها رسم الناقد بالتأثير ويفعل فيها مالا يشعرون بمثله من الأول . ذلك بأن الخيال أقرب الى النفس من الحقيقة . وأنت لو سألت أقبح خلق الله وجها ماذا يجد نفسه

فى المرآة لكان خنفساء وهى فى بيتها عطّارة !

وكذلك الكاتب فانه مع الأمة يقيم أودها وينقب عن عيبها ليدلها عليه ويحمل أخلاق الأمة وعاداتها على سن قلمه القادر الذى يجعل الأخلاق الفاسدة كأنياب الأغوال تلتهم الأمة وتنفث السموم فيها ويصور الفضائل بماشاء قلمه الفضفاض فيحبب الكرم الى اللئيم والجود الى الفقير المقتر ويسير بالجبان الى ساحة الموت الأحمر ويفتح باب المكارم الى الناس يلجونه وهم ثلج الصدور قرار النفوس

فقدرة الكاتب على التعبير واقتداره على الحيلة يقربه من النفس ولذا ترى التاريخ الروائى أشهى الى النفوس وأثبت فيها من التاريخ الصب وترى النفس تسارع الى قراءة القصص والروايات قبل أن تفكر فى الكتب العلمية . وكانت المواعظ يتخللها الخيال أقهر للنفس وآثر فيها والأحكامُ فى قالب البلاغة أقر فى القلب من الأحكام المسرودة التى يجبر المرء عليها نفسه اجبارا

انظر فى القرآن وقد ساق الأحكام وبلّغ الأوامر والنواهى ثم نبئنى عن أثره فى نفسك وكيف دب اليها ووصل

الى مستقرها ثم عرّج على كتب الفقهاء فتراها تثقل على النفس والنفس تنفر منها ويظل الحازم يريد أن يؤلف بينهما وأبو ذؤيب فوق رأسه ينشد (وهل يجمع السيفان ويحك فى غمد)

أما الخطيب فمثير النفوس ومهيجها ولسانه فيها كأنه (بيكروبونات الصودا) اذا وضعتها فى الماء ثار وفار وكأن بين قلب الخطيب وقلوب السامعين اسلاكا مكهربة اذا نبض قلبه نبضت قلوبهم وان تأثرت نفسه تأثرت نفوسهم وان شعر بشىء تنبأت به حواسهم وان تحرك لسانه ماجت الناس ومادت الأرض فقادهم الى المكرمات حيث المعالى لا تنال الا بالكفاح

والموسيقى هو الذى يروّح عن الناس هموم الحياة وينسيهم متاعب العيش ومشاق الدنيا ويطرب النفوس طربا تخفّ به عنها الأحزان ولا شىء فوق ازالة الهم وجلب السرور للنفس التى ما خلقت الا للسعادة والهناء وهذا مايعلى فى أقدار المغنين ويسوق الناس الى التهافت عليهم

فهؤلاء الرجال هم سدنة النفوس وحواس الأمة . والحاسة اذا قويت كانت صالحة لتوصيل المعلومات صحيحة الى المخّ فاذا صحّ هؤلاء فانهم يرقون بالأمة ويسيرون بها الى الكمال

وأمثال هذه الآيات كثير جدا في القرآن . فهذا الشعر الطبيعي أثر في الانسان فأنطقه وعلمه البيان عما يجد في نفسه فشعر . نظر في ملكوت السموات فصقل عقله وصفا ذهنه واستنطقه منظرها الرائع فنظم في صفته وأبدع في تنميقه . وهاله زئير الاسد وعظم صولته فدب الى نفسه شيء من العظمة والخيلاء والطبع سرّاق ففخر . ونظره وهو يصول على الحيوان ويطول فتحمس - رأى حمام الايك يناغي ألفه لغة الحب فتعلم العشق وأخذ عنه دروس الهوى ثم رآه وهو ينوح عليه ويبكي له فبكى ساعة الفراق وناح على الاحبة الظاعنين . بصر بهذا الحمام الساجع وهو (يلقلغ) ابنه والحيوان الاعجم يذود عن طفله الاذى ويغدو الطائر خامصا فيظل يومه كله يجمع القوت لاخيه وقد أنهكه السقم وأقعده الضنا . رأى كل ذلك فتسربت الرحمة الى قلبه وتأثر بمنظر الفقير يبيت طاويا تتصادم ضلوعه وتسير معدته في بطنه المرضى وأخوه الغني بجانب داره لاهيا عنه بنعيمه الزائل ورفاهيته الغراره فرحم الفقير وشعر ليعطف عليه قلب أخيه الغني

ذلك الشعر الالهي الصامت ينطق بقدرة مبدعه ويؤثر

فى قلب الناظر فيه فيشعر بعظم ذلك الشاعر الحكيم وجلاله المتناهي ويشرب حبه حتى يصل به الى العبادة المطلقة ومن ثمّ يدعو الناس الى النهل من ذلك المورد العذب الذى ذاق حلاوته وحينئذ ينظم قصائد الفضائل ومقطعات مكارم الاخلاق لأنه علم ان الاخلاق الطاهرة هي المرقاة الى ذلك الحكيم الجليل الذى خلق الفضائل وجعل أصحابها فى جنته

وكأنى بذلك الشاعر الذى وصلت به روحه الى كنه ذلك الجمال والحكمة تفيض على لسانه فيدبجها شعرا . وهذا هو شعر الفضائل والحكم . ثم علمه ذلك الشعر التفنن فى القياس والتأثر بكل منظر يردد الى خاطره ذلك الشعر الجميل فيكون ذلك مدعاة الى اجادته فى ضروب الشعر وفضائل الكلام

قال المنفلوطى (١) لامؤثر فى نفس الانسان غير الشعر وماخضع الانسان لشئ فى جميع ادوار حياته الا للشعر وللشعر الفضل الاول فى نبوغ الانسان وارتقائه وبلوغه هذا المبلغ من الكمال ولقد احب الانسان الشعر ناطقا وصامتا . أما الشعر

---

(١) في مقدمة شعراء العصر

الناطق فقد عرفته وأما الشعر الصامت فهذه التماثيل التى يراد بنصبها تمثيل حياة عظماء الرجال بعد مماتهم شعر . وهذه النغمات الموسيقية التى تصور خواطر القلوب ووجداناتها فتهيج عاطفة الحب فى نفس العاشق وعاطفة الحماسة فى نفس الجندى شعر . وهدير الامواج شعر لانه يمثل عظمة الجبارين . وظلام الليل شعر لانه يطلق دموع الباكين وحفيف أوراق الاشجار شعر لانه يمثل المناجاة فى مواقف العشاق . وبكاء الحمائم شعر لانه يمثل لجعة البين ولوعة الفراق ـ اه

فالانسان تلميذ الطبيعة وشعره صدى ذلك الشعر الصامت ولسانه ترجمان جمال الله الذى تجلى به على الكائنات ـ وقد عرّف الشعر كثير من العلماء ورأيي فيه بعد تلك المقدمة ان الشعر هو ذلك السيّال الكهربانى . يستمدّ من جمال الطبيعة ويومض فى قلوب الشعراء فتبرق تلك الومضات على ألسنتهم وفى ضعف ذلك السيال وقوته يجئ ضعف الشاعر وقوته . وفى تلك الحلبة السباق . فكما ان بياض الستار يظهر تهاويل (الخيالة) وبشدة بياضها تتفاوت مرئياتها كذلك بيان الشعراء

تقسّمه المقادير وفي البيان تظهر القدرة على التصوير وفى مختلف البيان تختلف مقادير الشعراء فى قول الشعر الذى يمثل ذلك الجمال - وقد أصاب الحطيئة فى قوله

الشعر صعب وطويل سلّمه ... اذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه
زلّت به الى الحضيض قدمه ... يريد أن يعربه فيعجمه

فكأن الحطيئة كان يرى الشعر كما نراه الآن ولذلك استصعبه واستطال سلمه ولله درّ الكاظمى حيث يقول فى هذا المعنى

ما الشعر الا ذائب فكر ... يجمد فى النطق ما استمرّا
بل وخيال صيّره العقـ ... ـل فى مجارى الافكار جسرا
يعبر من فوقه فيهوى ... بعض وبعض يجتاز عبرا
طورا تراه نهرا وطورا ... ترى لديه البحور نهرا
من عام فى لجّه زمانا ... وجاز بحرا صادف بحرا
فماله ساحل وقعر ... نعدّه ساحلا وقعرا
يغوص فكر فيه فيجنى ... حصى وفكر يلقط درّا

والشعر على الوجه الذى عرّفنا انه شعر الطبيعة كأنما يفقهه كل الناس ويعرفونه كذلك . فانك ترى الراعى وراء معزه

يطرب منه طرب الفيلسوف اذا رآه . ولقد لاحظت ذلك فى فلاح مشيت معه فرأى فتى جميلا يأكل تفاحا فلفتنى قائلا أنظر أنظر لهذا الرجل الجميل يأكل التفاح . فانك تجد ذلك الشعر الذى تمثل للفلاح فى هذا المنظر أثر فى قلبه ولم يستطع كتم ماخالجه فازعجنى بلفتى لأشاركه فى تأثره وهذا سر آخر لاحظته وهو ان قلب الانسان اذا تأثر بشعر الطبيعة امتلأ وفاض فلا يستطيع كتمه حتى يظهر على لسانه واذ ذاك يقول الشعر فى مختلف الفنون وضروب الكلام . سر من أسرار الله جعله فى الانسان لا أفقه كنهه وهو الذى سخر الشعراء لقول الشعر وأسهر الشاعر في ظلام الليل يقرح عينيه وتتجا فى جنوبه عن مضاجعها ليحبر صحيفته بقصيدة من الشعر لا يبغى عليها جزاء ولا شكورا

قال المنفلوطى ـ لولا ان غريزة فى النفس ان يردد القائل مايقول ويتغنى بمايردد ترويحا عن نفسه وتطريبا لعاطفته مانظم ناظم شعرا ولا روى عروضى بحرا ـ اه

وليس بعجيب ان السامع يطرب لقصيدة الشاعر وهو يشعر بما فيها لان الشعور بشعر الطبيعة يختلف باختلاف

الشاعرين . فالشعراء لأنهم وقفوا أنفسهم على اجتلاء جمال ذلك الشعر وصلوا فيه الى مالم يصل اليه غيرهم واكتشفوا أسراره بنفوسهم الصافية وانفاسهم الطاهرة فاستخرجوا منه للناس صوراً أخاذه وقصائد رنانة طرّابة زيّنوها بزخرف الخيال وازجوها للنفوس فى تلك الكؤوس السائغة وبذلك دخلوا البيوت من أبوابها لان مفتاح النفس الخيال وبتلك المزايا كلها يقبل الناس على الشعر ويتهافتون على الشعراء

وبين شعور السامع وشعر الشاعر تكون منزلة التأثير وانك لتسمع الطروب القصيدة العصماء ليس له سابق علم بها فتراه يتأثر بها الأثر كله فاذا ماأعدتها عليه قلّت منزلة التأثير من قلبه لأنه شعر بشيء منها والنفس لاتألف الا الجديد ثم لاتزال تسمعه تلك القصيدة ودرجات التأثير تنقص حتى يعتادها فاذا هو غير متأثر منها . ولقد شوهد ان الموسيقا وهى ألذّ شيء عند الانسان اذا ظلّ العازف يضرب على نغمة واحدة فيها فانه يجيء وقت لايطرب لها السامع لأنه اعتادها وهذا سرّ عجيب فى العادة . تنزل بالجديد المؤثر منزلة المألوف المعتاد ومن ثمّ كان خليقا بالنظر قول محيي الدين بن العربي – ان أهل

النار يتألمون من العذاب حتى يعتادوه فيزول عنهم الالم ويصبحوا ولا صبر لهم عنه لانه لا يصبر المرء عن عادته — اه

ولكن يظهر ان القرآن الحكيم نبّه على خلاف هذا فقال (كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) وان الله يخترع لهم من صنوف العذاب مالا تقف عادة فى ايقاف ألمه

— هذا — وعلى تفسيرنا الشعر بما تقدم أرى ان قول الشاعر

الليل ليل والنهار نهار والارض فيها الماء والاشجار

شعرٌ لأن عليه مسحة من ذلك الجمال غير انه لا يخفى على نفس من النفوس ولم يحتل عليها صاحبه بشيء من الخيال ولذلك عافته ولم يعدّه كثير من الناس فى الشعر — أما قول الآخر

فكأننا والماء من حولنا قوم جلوس حولهم ماء

فقد كاد الشطر الأول يكون مقدمة لكلام شعرى لولا ان التشبيه الأخير أفسد الشطرين فسقط من الشعر وسقط أيضا من الكلام لأنه لا فائدة منه فهو أسخف من البيت الأول وأسخف من هذا وذاك قول الآخر فى افتتاح قصيدة

قالها فى احتفال العام الهجرى

أضاء هلال العام بين بنى مصر

وأقبل بالبشرى لنا عامنا الهجرى

فان الشطرة الاولى لا تدخل فى شئ من كلام الناس وليس فى الشطرة الثانية معنى الا (بالبشرى)

وقد يستر سخف الشعر حسن القائه وكثيرا ما رأينا القصائد ينشدها قائلوها وسط الدهماء فيكون لها من الاستحسان والقبول عند السامعين بقدر ما تحظى به من السخط والنبذ من القارئين ولذلك كان خيرا لأنصاف الشعراء ألا يدونوا قصائدهم بل يكتفوا بما تنيلهم الفرص من القائها اللهم الا اذا أرادوا ان يعلنوا بذلك احسان شعر الشعراء الكاملين

هذا — والشعر بذلك المعنى لا يحبسه نظم ولا يقف به وزن وان تعارف الناس من قديم الزمان وسم الشعر بأنه الكلام الموزون المقفى لان الكلام وهو فى حلة الوزن آثر فى القلب وأعلق بالنفس فقصروا الشعر عليه لان تفاعيل البيت تسير مع تقاطيع النفس وكأن نبرات التفعيلة تقطعها نفس الطروب فتشعر باللذة من ذلك . فاللذة هنا مجموع أمرين . الشعر .

والنظم — أنظر الى الحسناء فى جمالها الآخذ وحسنها الفاتن وقد عطل جيدها وخلا معصمها ولم تشن بالقرط أذنها ولا طرزت بالحرير مرطها ولم تمتد اليها يد الابداع والتزيين بأكثر مما أبدعها به القادر الحكيم .. ما منزلة تلك الحسناء من قلب الفتى الكريم ؟؟ — فاذا ماخطرت له يوما وقد نحها الدلال ورنّ فى رجلها الخلخال وماست فى حلل الزمان تتهادى كقضيب البان فى ثوبها المعصفر وقميصها المعطر وقرطها المدلى وأساورها البراقه وخواتمها اللماعة وكأن كل ما أحدثته الصنعة من الحسن أو أخرجه الابداع من الجمال وقف على تلك الحسانة حتى جعلها ملكا فى صورة انسان — فأين تكون منزلتها من فؤاد ذلك الكريم الشغوف ؟؟

ان جمال الخلقة وجمال الصنعة يعملان فى القلب مالا يعمله أحدهما ويتركان فيه أثرا لا يقدر عليه الأول وكذلك مثل الشعر المنظوم فان نظمه لا يزيده الا حسنا فى النفوس وبهجة لديها ولذلك يستجاد من الشعر ماحسنت قافيته ورصن نظمه وأحكم سبكه لأنه حينئذ يكون أدق وأدخل فى معنى النظام

ولهذا اذا خلا الكلام من الشعر أحست النفس بثقله عليها ثقلا لا تشعر بشئ منه اذا أرسل الشعر طليقا

(قال أبو سعاد) وقد قرأنا لأحمد أفندى الكاشف هذه القطعة ننقلها بنصها وفصها

وجدت بالاستقراء ان أكبر أسباب نظم الشعر هو العشق لما يضطر اليه صاحبه من التجمل بالأدب والاشتهار بالحماسة . يبدأ العاشق بمناجاة النفس ومناغاة الوجدان ثم تزداد تجاربه ويتسع له المجال فيتمادى فيه ولا بد ان يكون فى العاشق استعداد للنظم من طبعه واكتسابه وقد رأيت كثيرين عشقوا ولكنهم لم يستطيعوا التعبير عن سرائرهم فنزعوا الى الغناء يستمعونه وقد نبغ منهم كثيرون فى فنّ الموسيقا. ورأيت كثيرين من العامة الاميين عشقوا ونظموا الأناشيد المؤثرة ولكنهم لضيق فكرهم وقلة اختبارهم لم يستطيعوا التمادى والابتداع فوقفوا عند حدّ . ولا فائدة من هذه الطائفة الا لمن كان على شاكلتهم من طبقتهم وان كان لأناشيدهم بينهم من سرعة الانتشار وبقاء الاثر ماليس لقصائد بلغاء الشعراء بين عامة الحضر ـ العامة والخاصة مشتركون

فى التلذّذ بالغناء متساوون فى حفظ أسماء المغنين وتعظيم اقدارهم والتفكّه بأحاديثهم وتناقل أخبارهم وقد تجد فى كل نادالسامع الطروب بالموسيقا ولا تجد المعتبر بحكمة شاعر وذلك لما يقتضيه الشعر البليغ من دقة التصور وصفاء الذهن وتمام العلم والعقلاء فى مصر قليلون الآن فاذا كثرعديدهم تمكن الشاعر البليغ من العيش الرغد ومظاهر المجد اه ... الخ

وحقيقة ان العشق يلطف النفوس ويزيح كثيرا من الاغشية عن عيون العاشقين وينظف قنوات آذانهم فيرون ويسمعون من شعر الطبيعة مالا يعرفه غيرهم ولذا كان لكلامهم أثر فى نفس السامع لايتركه كلام أحد سواهم

ولقد سمعت قول جميل

وكم قلت فى شعرى لكم وصبابتى

أحاديث شوق شرحهنّ يطول

فان لم يكن قولى رضاك فعلمى

نسيم الصبا يابثن كيف أقول

فطربت له وتأثرت منه أثرا لا يبلغه أثر عشرات الابيات التى يقولها الشعراء المتعاشقون وأن ذاب كلامهم رقة وقطروه

سحرا . ذلك لأن العاشق صادق فكلامه من قلبه والقلوب لا تتأثر الا بلغتها . أما المتعاشق فانه يقول بلسانه ماليس فى قلبه ولذا كان الاعجاب ببلاغته ورقته ولا دخل للتأثير فى العجب منه بشئ ولكن العاشق يؤثّر بكلامه وان كان خلوا من محسنات الكلام . وقد ترك هذا البيت المتماظل فى قلبى أثرا وهو

ان التى ضربت بيتا مهاجرة بكوفة الجند غالت ودّها غول

وكأنى أبصر قلب صاحبه وقد فجعه البين وأرى نفسه تفيض حسرات على نأى صاحبته حتى أيس منها وغالت ودّها الغول

ولهذا المعنى الذى ذكره الكاشف اعتاد الشعراء ان يبدءوا قصائد المديح بالغزل والتشبيب حتى يجلوا به أذهانهم ويفتحوا أبواب الكلام على نفوسهم بما يروّحونها به من ذكر العشق والغرام ويعيد لها ذكرى الشعر الطبيعى

وقد رأى دياب بك غير هذا فقال فى توجيه هذه العادة لعل سببه ان شعراء العرب كانت اشعارهم فى الغالب حكاية عن واقع فكان الشاعر يقصّ على الممدوح فى مدحته ماانتابه

من فراق امرأته أو بنته ذات المكانة فى فؤاده لما لها من الصفات الحسان ولا يأنف من ذكر اسمها ولا صفاتها . ويقص عليه أيضا ما اعتراه وراحلته من عناء السفر وركوب الخطر حتى وصل اليه ثم يمدحه فيستعظم الممدوح حال الشاعر ويجزل له العطاء استعاضة لما نابه . فلما جاء الشعراء المتأخرون أرادوا أن ينسجوا على منوال شعراء العرب فافتتحوا مدائحهم بالتشبيب بمحبوب اخترعه وهمهم وخيالهم وصار هذا الامر عادة مألوفة لهم . وقال الدسوقى ان السبب فى ذلك تهييج القريحة وتحريك النفس للشعر والمبالغة فى الوصف وترويح النفس ورياضتها (هذا يقارب ما رأيناه) . وقال أحمد فارس انه لاشىء أفظع عند الفرنج من أن يروا فى قصائد المدح تغزلا بامرأة ووصفها بكونها رقيقة الخصر ثقيلة الكفل نجلاء العينين سوداء الفرع وما أشبه ذلك وأفظع منه التشبيب بغلام وأقبح من هذا وذاك نسبة شىء من صفات المؤنث الى المذكر كقول الشاعر (كأن ثدياه حقان) فانهم أول ما يبتدئون المدح يوجهونه الى المخاطَب ويجعلونه ضربا من التاريخ فيذكرون فيه مساعى الممدوح ومقاصده وفضله على من تقدمه من الملوك وانه لما

مدح احمد باشا والى تونس بقصيدته التى مطلعها (زارت سعاد وثوب الليل مسدول) سئل هل اسم الباشا سعاد فقال لا بل هو اسم امرأة فقال السائل ومادخل المرأة بينك وبين الباشا ؟؟ اه

ويشبه هذه الحكاية ما ذكره الابشيهى (١) — مدح أبو العتاهيـة عمرو بن العلاء فاعطاه سبعين ألفا وخلع عليه خلعا سنيه حتى انه لم يستطع أن يقوم فغار الشعراء منه فجمعهم عمرو وقال يالله العجب . ما أشد حسد بعضكم لبعض . ان أحدكم يأتينا بمدحنا فيتغزل في قصيدته بخمسين بيتا فما يبلغنا حتى يذهب رونق شعره وقد تشبب أبو العتاهية بأبيات يسيرة ثم قال

انى أمنت من الزمان وصرفه	لما علقت من الامير حبالا
لو يستطيع الناس من اجلاله	جعلوا له حرّ الوجوه نعالا
ان المطايا تشتكيك لانها	قطعت اليك سباسبا ورمالا
فاذا وردن بنا وردن خفائفا	واذا صدرن بنا صدرن ثقالا

وينظم الشعر فى اغراض مختلفة واسماه قدرا ما كان فى مكارم الاخلاق وأجوده ما ردّد الى خاطرك ذكر الشعر الطبيعى وقد أجاد حافظ هنا حيث يقول فى (الشعر)

(١) من مقدمة الالياذه نقلا عن المستطرف

ضعت بين النهى وبين الخيال ... ياحكيم النفوس يابن المعالى
ضعت فى الشرق بين قوم هجود ... لم يفيقوا وأمة مكسال
قد أذالوك بين أنس وكاس ... وغرام بظبية أو غزال
ونسيب ومدحة وهجاء ... ورثاء وفتنة وضلال
وحماس أراه فى غير شئ ... وصغار يجر ذيل اختيال
عشت ما بينهم مذ الا امضاعا ... وكذا كنت فى العصور الخوالى
حملوك العناء من حب ليلى ... وسليمى ووقفة الاطلال
وبكاء على عزيز تولى ... ورسوم راحت بهن الليالى
واذا ماسموا بقدرك يوما ... أسكنوك الرحال فوق الجمال
آن ياشعر أن نفك قيودا ... قيدتنا بها دعاة المحال
فارفعوا هذه الكمائم عنا ... ودعونا نشم ريح الشمال

بعد هذا نقول — ان الشعر فى زمننا يتراوح بين الاجادة والقبح ويقرب من الشعر الذى عرفناه ويبعد عنه . وهو أصناف كثيرة يسير فى مناحى جمة تختلف مع الشعراء وتتفاوت فيها أقدارهم . غير انا نقول أن الشعر العصرى على جملته قد جمع بين الشعر القديم فى وزنه وجودته وشكله وميزته وبين الشعر الحديث فى الفاظه وخواطره ومخترعاته وجديد أفكاره

ولن يظهر ذلك جليا الا بعرض القارىء على الشعراء عرضا يزيل كثيرا من اللبس

ولقد رأيت وسمعت عن كثير من الشعراء المصريين وهم كثير لا يقف بهم عدّ ولا تفسح لهم هذه العجالة فنجمل الكلام فى مشاهيرهم أمثال . سامى . الكاظمى صبرى . شوقى . حافظ . الكاشف . المنفلوطى . مطران . البكرى حفنى . محرم . شدودى . العبد . الرافعى . الخطيب . المصرى . ثم بقية شعراء الأفندية والمشايخ

ولقد كان الشعر بعد ان نهض من كبوته ملكا لرئيس الشعراء محمود صفوت ثم انتقل بموته ملك الشعر الى البارودى فلما توفى هذا أصبح الشعر جمهورية يتطلب الرياسة فيه كثير من فحول الشعراء المقدمين الآن

﴿ البارودى ﴾

نشأ البارودى وفيه ميل غريزى الى الشعر وقوله وروايته وسماعه فأخذ يقرأ دواوين الشعراء ولاحظ هيئات تراكيب العربية حتى انطبعت فى ذاكرته فكان ينطق بالكلام فصيحا وهو لم يجلس الى نحوى ولقد أمعن النظر وأدمن قراءة أشعار

نفى النوم عن عينيه نفس أبيّة لها بين أطراف الأسنة مطلب
بعيد مناط الهمّ فالغرب مشرق اذا مارمى عينيه والشرق مغرب
همامة نفس أصغرت كل مأرب فكلّفت الايام ماليس يوهب
ومن تكن العلياء همّة نفسه فكل الذى يلقاه فيها محبب
اذا أنا لم أعط المكارم حقها فلا عزّنى خال ولا ضمّنى أب
ولا حملت درعى كميت طمرّة ولا دار فى كفى بنان مذرب
خلقت عيوفا لا أرى لابن حرة لدىّ يدا أغضى لها حين يغضب
فلست لأمر لم يكن متوقعا ولست على شئ مضى أتعتب
أسير على نهج يرى الناس غيره لكل امرئ فيما يحاول مذهب

وقد عارض كثيرا من الشعراء بقصائد طويلة فعارض قصيدة أبى فراس التى مطلعها

« أراك عصى الدمع شيمتك الصبر » بقصيدة افتتحها بقوله

طربت وعادتنى المخيلة والسكر وأصبحت لا يلوى بشيمتى الصبر

وعارض قصيدة النابغة « أمن آل ميّة رائح أو مغتدى » بقصيدة مطلعها

ظن الظنون فبات غير موسّد حيران يكلأ مستنير الفرقد

وبالجملة فشعره كثير يسير فيه على طبيعته وبقوله فى

الخمريات والاخوانيات والغراميات والوصفيات . فمن قصيدة يصف فيها الليل والنجوم

أرعى الكواكب فى السماء كأن لى　　عند النجوم رهينة لم تدفع
زهر تألّقُ بالفضاء كأنها　　حبب تردّد فى غدير مترع
وكأنها حول المجرّ حمائم　　بيض عكفن على جوانب مشرع
وترى الثريا فى السماء كأنها　　حلقات قرط بالجمان مرصع
بيضاء ناصعة كبيض نعامة　　فى جوف أدجى بأرض بلقع
وكأنها أكر توقد نورها　　بالكهرباءة فى سماوة مصنع
والليل مرهوب الحمية قائم　　فى مسحه كالراهب المتلفع
متوشح بالنيّرات كباسل　　من نسل حام باللجين مدرع
حسب النجوم تخلفت عن أمره　　فوحى لهنّ من الهلال بأصبع

وجملة القول ان البارودى شاعر سلبقى وحسبك من شعره جمالا انك لا تدرى ما تختار من قوله لجودة كلامه كله وتناسقه فى الحسن والاجادة على السواء

﴿ اسماعيل صبرى ﴾

شاعر كبير له شعر كثير وأكثر ما ترى منه على دفات الكتب تقريظا لها ومدحا فى أصحابها وأنا لا أرى على شعره

روعة البلاغة وان كنت أجد فيه حكمة الحكماء ولقد أقرأ له قصيدة الغزل فيخيّل الىّ أن شيخا وقورا يستخفّه الهوى وتطير به خفة الشباب حتى ينطق بمثل هذه الدرارى فى قالبها الرقيق . ولكن لا ألبث أن أقول ان هذا لشىء عجاب .

ونورد نموذجا من أشعاره

لشوقى بك قصيدة يعارض بها الضرير فى قوله

ياليل الصبّ متى غده   أقيام الساعة موعده

مطلعها

مضناك جفاه مرقده   وبكاه ورحّم عوّده

فعارضه صبرى بقصيدة أهداها اياه قال فيها

الصبّ يماطله غده   والليل تمرّد أسوده
والتفت تحت عجاجته   بيض فى الحىّ تؤيّده
ما هادنه جرح الا   سالت أخرى تتوعّده
هل من آس يهتم به   هل من راق يتفقده
حتام يصارعه ألم   ان همّ يقوم ويقعده
والام يساوره كمد   يبلى الأحشاء تجدده
فى القصر غزال تكبره   غزلان الرمل وتحسده

صفرت كفي منه ومضى　　وقد امتلأت مني يده
كم صغت التبر له شركا　　وقضيت الليل أنضده
مولاي أعيذك من ضرم　　لا يرحم قلبا موقده
ادرك بحياتك من رمق　　مازال هواك يهدده
قد بان الحب لذي عينين　　وبات الشوق يؤكده
شوقي برّز في الشعر وفق　　آمنت بأنك اوحده

وجاء في الجريدة الصادرة يوم ٢٩ اكتوبر سنة ١٩١٠ ما يأتي .

— شعر الغناء —

تفضل سعادة كبير الشعراء اسماعيل صبري باشا فوضع للغناء هذه الابيات ننشرها للمغنين وعشاق الغناء والموسيقا وقد وعد سعادته باهداء القراء أمثال ذلك . الوقت بعد الوقت فنرفع له الشكر على تحسين موضوعات الغناء

خبّروني اليوم اني في غد　　مالئ عينيّ منها ويدي
كيف يبقى من قضى الليل على　　جرف هار الى ذا الموعد
رب كن عوني وأمهلني الى
أن أرى شمس الضحى من عودي

يا أساة الحى لو أخرتمو ... رأيكم فىّ الى يوم غـد
ربّ داء لا يرجّى برؤه ... قد شفته زورة من مسعد

٢

أترى أنت خاذلى ساعة التو ... ديع ياقلب فى غدأم نصيرى
ويك قل لى متى أراك بجنبي ... راضيا عن مكانك المهجور
ساعة البين قطعة أنت قدّت ... للمحبين من عذاب السعير
لاتحينى روحى الفداء لما حيـ ... ـك غدا من صحيفة المقدور

وله مرثية مؤثرة فى أمين باشا فكرى منها

وجـدت الحياة طريق المما ... ت وكلّ الى حتفـه يسرب
ويعثر فيـه الفتى بالشبا ... ب ويدلف بالعلة الأشيب
ويتعب بالزاد فيه الفقـ ... ـير وأهل الغنى بالغنى أتعب
ويشقى أخو الجهل فى جهله ... ويحرج بالعالم المذهب
موارد مشروعة للحيا ... ة فأى مواردها الاعذب

وبينا يقول الباشا هذا الشعر اذا به يقرظ ديوان رشيد مصوبع بمثل قوله

قل يارشيد الشعر أفديك قل ... ياشاعر المشرق والمغرب
شعرك هذا كله طيّب ... أجدت فيه ياأبا الطيب

﴿ شوق ﴾

اكثر الشعراء استعدادا لقول الشعر واكثرهم تفننا فيه وسيرا في ضروبه وانك لترى أثر ملكته الشعرية باديا على كلامه ويتشبه بأبي نواس ولذلك أعد للشعر عدته وله في الحكم ماليس لغيره وقد انفرد بأبيات مفردات ما أوتيها أحد في عصره . غير أن له مع هذا كلاما مغلقا ومعاني مسروقة الا أنه كما قال حافظ فيه

ظريف الوزن لطيف القافية خاطره طوع لسانه وبيانه أسير بنانه كأنما يتناول الشعر من كمه لسهولة متناوله عليه الا أنه مكثار وقل أن يسلم المكثار من العثار فشعره كما قال الاصمعي في شعر أبي العتاهيه كساحة الملوك يقع فيه الخزف والذهب اه

وقال فيه المنفلوطي (بينا هو طائر محلق في سماء الخيال يجمع الدنيا اليه بنظرة اذا هو سارب في مدب السرائر يتلمس مكان الرغبات ويستثير كوامن الوجدانات فترى شعره لوح الصبي في مكتبه وسبحة الناسك في صومعته وزاد المسافر في وحشته وكأس الشارب ودمعة الباكي ورجاء العاشق ومأساة

الحزين. كأن بين قلبه وبين جميع القلوب اسلاكا مكهربة فهى تخفق لخفوقه وتسكن لسكونه ـ اه

ولقد تغالى المنفلوطى وانصفه (سطيح) حيث يقول فيه لصاحبيه

أنه أرقكم طبعا وأجملكم صنعا فهو ان ركب الغزل والنسيب كان كأنه يوحى اليه من قريب. واذا سلك سبيل المديح فقد عجز عن وصفه سطيح الا انه ضيّق المجال وان كان واسع الخيال يقع له المعنى الجليل فى سبحات الفكر الطويل فيمسكه خاطره وتحرص عليه سرائره والمعانى كالظباء كثيرة النفار شديدة الاحضار فهى ان لم تجد من نضارة الالفاظ خميلة تسنح فيها ولم تظفر من عذوبتها بعيون تنهل من نواحيها ذهبت عنها ان لم يضق بها المذهب وكذلك حالها فى شعر صاحبكم فهى اما نافرة واما حزينة باسرة ولو أنه منح من دقة المبانى ما منح من رقة المعانى فسلم أسلوبه من ذلك التعقيد الذى أخلق ديباجته لكان شاعركم غير مدافع وواحدكم غير منازع ـ اه

هذا – ولو شاءوا لشبهوه بالمتنبي فان لشوقي حسنات كثيرة يشوبها أغراب المتنبي وتعقيده ولكني أعيذ من يقول

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

أعيذه من أن أشبهه بصاحب هذا البيت

أقِل أنِل أقطِع احمل علِّ سلِّ أعد زدهش بشّ تفضل أدن سُرّ صل

وقد بين أستاذ أديب سبب هذا التعقيد الذى نراه لشوقى فقال . أن الخاطر يمرّ عليه فيقيّده ببيت من الشعر الا أنه قد يخطئ في القيد فيضع بدل الحرير ليفا وقد يلبس هذا الخاطر بدل الثوب ملاءة فاذا افلت هذا الخاطر من ذهنه جاء يتفقّده في مغناه فاذا هو قد أفلت منه أيضا وترك به شبيها له فيعمى المعنى حتى على صاحبه .

ولشوقى غارات على أبى عبادة والمتنبي وابن الاحنف عدّها عليه الادباء ونقدوا مامسخه من أشعار هؤلاء الا أنه قد جمع كثيرا من أفكار الفرنجة وأفكار العرب في شعره وان كان يذهب في البدع الى أن يقول

مال واحتجب وادّعى الغضب
ليت هاجرى يشرح السبب

عتبه رضا　　ليتـه عتب

وقد شغف الناس بالمقارنة بينه وبين حافظ ورأى فيهما ان حافظا انفرد بسلاسة الشعر وتأثيره وتناسق أبياته وتحبيره وان لشوقي أبياتا أعلاما ينفث بها فى روعه فيتحرك بها لسانه لو تكلفها حافظ أزمانا ماقدر على واحد منها وا كبر ظنى أن شيطان شوقي يلقيها بين ثنيات شعره من قصيدة لاخرى ليعجز بها شيطان حافظ.

وا كثر شعر شوقي فى مدح العزيز حفظه الله وان كان غالب شعره مهلهلا يميل به الى رقة شعراء الحضر وبدع ندامى الملوك

والحق أن شوقي كما قلت شاعر بطبعه وأنه جمع أسباب نظم الشعر حتى علا كعبه فيه وطال نفسه على غيره ولو لم يقل الا الهمزية التى نظمها فى المؤتمر المشرقى الدولى لكفته فخرا وكذلك بائيته فى صدى الحرب العثمانية اليونانية التى مطلعها

بسيفك يعلو الحق والحق أغلب　　وينصر دين الله أيان يضرب

وانا موردون محاسن من شعره . قال من قصيدة له

خدعوها بقولهم حسناء　　والغوانى يغرهن الثناء

ما تراها تناست اسمى لما　　كثرت فى غرامها الاسماء

ان رأتني تميل عني كأن لم — تك بيني وبينها أشياء
نظرة فابتسامة فسلام — فكلام فموعد فلقاء
يوم كنا ولا تسل كيف كنا — نتهادى من الهوى مانشاء
وعلينا من العفاف رقيب — تعبت في مراسه الاهواء
جاذبتني ثوبي العصيّ وقالت — أنتم الناس أيها الشعراء
فاتقوا الله في خداع العذارى — فالعذارى قلوبهن هواء

وله القصيدة البائية الشهيرة التي يقول فيها الشيخ على الليثي « ماقالها قبل في الاسلام » أحدوهي في ليلة (البال)

حفّ كأسها الحبب — فهي فضة ذهب
أو دوائر درر — مائج بها لبب
أو فم الحبيب جلا — عن جمانه الشنب
أو يدان باطنها — عاطل ومختضب
أو شقيق وجنته — حين لحا به لعب
راحة النفوس وهل — عند راحة تعب
يانديم خفّ بها — لا كبابك الطرب
لا تقل عواقبها — فالعواقب الأدب
تنجلي ولي خلق — ينجلي وينسكب

يرقب الرفاق له كلما سرى شربوا
شاعر العزيز وما بالقليل ذا اللقب

ومنها فى وصف النساء وقد ذكر أن العزيز مثلت امامه الليوث والظباء

الليوث ماثلة والظباء تنسرب
الحرير ملبسها واللجين والذهب
والقصور مسرحها لا الرمال والعشب
يستفزها نغم لاصدى ولا لجب
يستعاد مرقصه تارة ويقتضب
فالقدود بان رُبا بيدانها تثب *
يلعب العناق بها وهو مشفق حدب
فهى آنة صعد وهى آنة حبب
وهى ههنا وهنا تلتقى وتصطحب
مثل ماالتقت أسل أو تعانقت قضب
الرءوس مائلة فى الصدور تحتجب
والنحور قائمة قاعد بها الوصب
والنهود هامدة والخدود تلتهب

والخصور واهية بالبنان تنجذب
سالت الاكف بها فهى أغض نهب

وله قصيدة في الربيع عارض بها البكرى فى قصيدته التى مطلعها

أصبح وادى الغرقد أخضل كالسيف الصدى

قال

آذار أقبل قم بنا ياصاح حىّ الربيع حديقة الارواح
واجمع ندامى الظرف تحت لوائه وانشر بساحته بساط الراح
صفو أتيح فخذ لنفسك قسطها فالصفو ليس على المدى بمتاح
واجلس بضاحكة الرياض مصفقا لتجاوب الاوتار والاقداح
واجعل صبوحك فى البكور سليلة للمنجبين الكرم والتفاح
تطغى فان ذكرت كريم أصولها خلعت على النشوان حلية صاحى

ومنها

الورد فى سرور الغصون مفتّح متقابل يثنى على الفتاح
ضاحى المواكب فى الرياض مميز دون الزهور بشوكة وسلاح
مرّ النسيم بصفحتيه مقبلا مرّ الشفاه على خدود ملاح
هتك الردى من حسنه وبهائه بالليل ما انسجت يد الاصباح

ينبيك مصرعه وكل زائل　　ان الحياة كغدوة ورواح

ومنها

انى لاذكر بالربيع وحسنه　　عهد الشباب وطرفه المراح

هل كان الازهرة كزهوره　　عجل الفناء لها بغير جناح

وقال يعارض الضرير فى قصيدته التى مطلعها

ياليل الصب متى غده　　أقيام الساعة موعده

وجعلها مدحا فى العزيز

مضناك جفاه مرقده　　وبكاه ورحّم عوّده

حيران القلب معذبه　　مقروح الجفن مسهده

اودى حرقا الا رمقا　　يبقيه عليك وتنفده

يستهوى الورق تأوهه　　ويهدّ الصخر تنهده

ويناجى النجم ويتعبه　　ويقيم الليل ويقعده

ويعلم كل مطوقة　　شجنا فى الدوح تردده

كم مد لطيفك من شرك　　وتأدب لا يتصيّده

جحدت عيناك زكى دمى　　أكذلك خدك يجحده

قد عز شهودى اذ رمتا　　فأشرت لخدك أشهده

ومنها

مولاى وروحى فى يده   قد ضيعها سلمت يده
ناقوس القلب يدق له   وحنايا الاضلع معبده

وله قصيدة رنانة فى رثاء مصطفى كامل مطلعها

المشرقان عليك ينتحبان   قاصيهما فى مأتم والدانى
ياخادم الاسلام أجر مجاهد   فى الله من خلد ومن رضوان

ومنها

بالله فتش عن فؤادك فى الثرى   هل فيه آمال لنا وأمانى
وجدانك الحى المقيم على المدى   ولرب حى ميت الوجدان
الناس جار فى الحياة لغاية   ومضلل يسعى بغير عنان

ومنها

المجد والشرف الرفيع صحيفة   جعلت لها الاخلاق كالعنوان
دقات قلب المرء قائلة له   ان الحياة دقائق وثوانى
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها   فالذكر للانسان عمر ثان
فاصبر على نعمى الحياة وبؤسها   نعمى الحياة وبؤسها سيان

ومنها

ولقد نظرتك والردى بك محدق   والداء ملء معالم الجثمان

يبغى ويطغى والطبيب مضلل ... قنط وساعات الرحيل دوانى
ونواظر العوّاد عنك أمالها ... دمع تعالج كتمه وتعانى
تملى وتكتب والمشاغل جمّة ... ويداك فى القرطاس ترتجفان
فهششت لى حتى كانك عائدى ... وأنا الذى هدّ السقام كيانى
ورأيت كيف تموت آساد الشرى ... وعرفت كيف مصارع الشجعان
ووجدت فى ذاك الخيال عزائما ... ماللمنون بدكّهنّ يدان

ومنها

هوّن عليك فلا شمات بميّت ... ان المنيّة غاية الانسان

وختامها

اقسمت انك فى التراب طهارة ... ملك يهاب سؤاله الملكان

وله القصيدة الشهيرة التى قالها فى عزل السلطان عبد الحميد ومطلعها

سل يلدزا ذات القصور ... هل جاءها نبأ البدور

وله الميميه الشهيرة التى عارض فيها الأبوصيرى فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم وقد احتفى الناس بها حتى شرحها شيخ الاسلام فى مصر ومطلعها

ريم على القاع بين البان والعلم   أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم

﴿ حافظ ﴾

حدثنى بيك شريف ان عزيز مصر قال « شعر حافظ موثر » وقد صدق الأمير فان حافظا يكاد ينفرد بالتأثير كما انفرد بسلاسة شعره وخلوه من الغريب والتكلف حتى ساغته الالسن وفهمته العامة فكان لحافظ عندها من الحظ ماليس لغيره

وقد أخرج للناس جزأين من ديوانه فمن قرأهما شك فى ان الروح الشعريه فيهما واحدة فان حافظا فى جزئه الاول روحه الشعريه أدبية بحتةعليها مسحة من خلاعة الشعراءولكنه فى جزئه الثانى شاعر سياسى حكيم وهو فيما قرأناه له بعدذلك شاعر اجتماعى فليسوف . ولحافظ سرقات شعريةاحصاها عليه الناس وما آخذ عدّها الأدباء وقول من الشعر وضيع ان كان يقوله بلسانه فانه لا يثبته فى ديوانه وذلك كقوله فى مصطفى باشا ماهر وكان حسين بك هلال دعاه للغداءعنده فى كورته

مصطفى ماهر مدير المعالى   جاء يسعى الى حسين هلال

. . . .

ولكن هذه المعائب كلها تذهب جفاء اذا قورنت بحسناته الشعرية وقدرته الفائقة على سحر النفوس حتى ان المنفلوطى بعد ان قال فيه «انه صانع ماهر لاغنى قادر» رجع عن حكمه بعد ان سمع قصيدته التى قالها فى رعاية الاطفال ومطلعها

شبحا أرى أم ذاك طيف خيال　　لا . بل فتاة بالعراء حيالى

وقال المنفلوطى لو ان قصيدته هذه نشرها قبل طبع (نظراته) لكان له معه شأن آخر . ومما مدح عليه حافظ انه شاعر غير هجاء ، وما قرأت له قصيدة ذم أبدا اللهم الا مداعبة ظريفة جرت بينه وبين البابلى وكلها أدب وقصيدة أخرى أجاب بها أحد الادباء الاطباء وكان هذا قد بعث اليه بقصيدة عدتها تسعون بيتا يداعبه فيها وطلب اليه ان يجيبه على وزنها ورويها على سبيل المداعبة أيضا واشترط الا يجئ فيها بكلمة يكون قد أتى هو بها فى قوافيه فقال حافظ يجيب صديقه الحميم

وافى كتابك يزدرى　　بالدر او بالجوهر

فقرأت فيه رسالة　　مزجت بذوب السكر

الى ان يقول فى شتمه

غفرانك اللهم انى من ظلامته برى

سويته كالكركدن وجاءنا كالاخدري
وجه ولا وجه الخطو ب وقامة لم تشبر
ومن العجائب ان مثل لسانه لم يبتر
كم بات يلتحم العرو ض وجاءبالامر الفرى
فافعل به اللهم كالنمرود فهو بها حرى

ومن خلاعته قوله وقد طُلب اليه ان ينظم على لسان شيخ صوفى أبياتا يستعطف بها محبوباله نافرا اسمه (شكيب)

اخرق الدف لو رأيت شكيبا وافض الاذكار حتى يشيبا
هو ذكرى وقبلتى وامامى وطبيبي اذا دعوت الطبيبا
لو رآنى وقد تعمدت قتلى بالتنائى رأيت شيخا حريبا
كان لا ينحنى لغيرك اجلا لا ولا يشتهى سواك حبيبا
لا تعيننّ يا شكيب دبيبى انما الشيخ من يدب دبيبا
كم شربت المدام فى حضرة الشيخ جهارا وكم سقيت الحليبا
فسلوا سبحتى فهل كان تسبيحى فيها الا شكيبا شكيبا
واذا أدنف الشيوخ غرام كنت فى حلبة الشيوخ نقيبا
عد الينا فقد أطلت التجافى واركب البرق ان أطقت الركوبا
واذا خفت ما نخاف من اليم فرشنا لاخمصيك القلوبا

ودعونا بساط صاحب بلقيـــس فلبى دعاءنا مستجيبا
وأمرنا الرياح تجرى بأمر منك حتى نراك مناقريبا

وقال فى رثاء سليمان باشا أباظه

لاوالأسى وتلهب الاحشاء مابات بعدك معجب بوفاء
أنى حللت أرى عليك مآتما فلمن أوجه فيك حسن عزائى
لبنيك أم لذويك أم للكون أم للدهر أم لجماعة الجوزاء
أودى سليمان فأودى بعده حسن الوفاء وبهجة العلياء
لاتحملوه على الرقاب فقد كفى ما حملت من منة وعطاء
وذروا على نهر المدامع نعشه يجرى به للروضة الفيحاء
تالله لو علمت به اعواده مذ لامسته لأورقت للرائى
خلق كضوء البدر او كالروض أو كالزهر أو كالخمر أو كالماء

وهذا كله من جزئه الاول

ومن قصيدة له فى « غادة اليابان »

لاتلم كفى اذا السيف نبا صح من العزم والدهر أبى
رب ساع مبصر فى سعيه اخطأ التوفيق فيما طلبا
مرحبا بالخطب يبلونى اذا كانت العلياء فيه السببا
عقنى دهرى ولولا اننى أوثر الحسنى عققت الأدبا

ايه يادنيا اعبسى أو فابسمى　　لا أرى برقك الا خلّبا

وفيها يقول عن الميكادو

كان والتاج صغيرين معا　　وجلال الملك فى عهد الصبا

فغدا هذا سماء للعلا　　وغدا ذلك فيها كوكبا

ولله درّه حيث يقول فى رثاء الاستاذ الامام

رمي السرطان الليث والليث خادر　　وربّ ضعيف نافذ الرميات

فأودى به ختلا فمال الى الثرى　　ومالت له الاجرام منحرفات

وشاعت تعازى الشهب باللمح بينها　　عن النيّر الهاوى الى الفلوات

وقال

زمان تسخّر فيه الرياح　　م ويغدو الجماد به منشدا

وتعنو الطبيعة للعارفيـــن بمعنى الوجود وسر الهدى

اذا ما أهابوا أجاب الحديـــد وصار البخار له مسعدا

وصارت اليهم من الكهربا　　ء بروق على السلك تطوى المدى

أيجمل من بعد هذا وذا　　ك بان نستكين وان نجمدا

وقال فى العام الذى أسس فيه الخزان ونقص النيل :

أنكر النيل موقف الخزان　　فانثنى قافلا الى السودان

راعه ان يرى على جانبيـــه رصدامن مكائد الانسان

وقال فى ليلة « رعاية الاطفال »

شبحا أرى أم ذاك طيف خيال لا بل فتاة بالعراء حيالى
أمست بمدرجة الخطوب فما لها راع هناك ومالها من وال
حسرى تكاد تعيد فحمة ليلها نارا بأنات زكين طوال
ماخطبها عجبا وما خطبي بها مالى أشاطرها الوجيعة مالى
دانيتها ولصوتها فى مسمعى وقع النبال عطفن أثر نبال
وسألتها من أنت وهى كأنها رسم على طلل من الأطلال
فتململت جزعا وقالت حامل لم تدر طعم الغمض منذ ليالى
قد مات والدها وماتت أمها ومضى الحمام بعمها والخال
والى هنا حبس الحياء لسانها وجرى البكاء بدمعها الهطال
فعلمت مانخفى الفتاة وانما يحنو على أمثالها أمثالى
ووقفت أنظرها كأنى عابد فى هيكل يرنو الى تمثال
لاشئ أفعل فى النفوس كغادة هيفاء روعها الأسى بهزال
أوغادة كانت تريك بوجهها شمس النهار فأصبحت كالآل
قلت انهضى قالت أينهض ميت من قبره ويسير شن بالى
فحملت هيكل عظمها وكأننى حملت حين حملت عود خلال
وطفقت انتهب الخطا متيمما بالليل دار رعاية الاطفال

أمشى وأحمل بائسين فطارق   باب الحياة ومؤذن بزوال

الى أن يقول :

وجثا الطبيب يجس نبضا خافتا   ويرود مكمن دائها القتال

لم يدر حين دنا ليبلو قلبها   دقّات قلب أم دبيب نمال

ومنها :

خير الصنيعة فى الانام صنيعة   تنبو بحاملها عن الاذلال

واذا النوال أتى ولم يهرق له   ماء الوجوه فذاك خير نوال

من جاد من بعد السؤال فانه   وهو الجواد يعد فى البخّال

ومنها فى صفة البائس :

لم يدر ناظره اعريانا يرى   أم كاسيا فى تلكم الاسمال

فكأنّ ناحل جسمه فى ثوبه   خلف الخروق يطل من غربال

والحافظ طرق فى مطالع قصائده فقد يضمنها ضمائر لا ترجع
الى مذكور قبلها مثل

أجل . هذه اعلامه ومواكبه   هنيئا لهم فليسحب الذيل ساحبه

ومثل

لا رعى الله عهدها من جدود   كيف أمسيت يا ابن عبد المجيد

وهذا مطلع قصيدة له يعزى فيها السلطان عبد الحميد

ويهنئ أخاه محمدا وقد وقف فيها موقفا لو وقفه غيره لكب
على وجهه فى النار ولكنه نفذ منه كما ينفذ السهم من الرمية
وله قصيدة أخرى «فى رعاية الاطفال» وصف فيها القطار فقال:

صفحة البرق أومضت فى الغمام ... أم شهاب يشق جوف الظلام
أم سليل البخار طار الى القصد ... فاعيي سوابق الأوهام
مر كاللمح لم تكد تقف العين ... على ظل جرمه المترامى
أو كشرخ الشباب لم يدر كاسيه ... تولّى فى يقظة أو فى منام
لا يبالى السرى أو اعتكر الليل ... وخانت مواقع الاقدام
هائم كالظليم أزعجه الصيد ... وراعته طائشات السهام
يا حديدا ينساب فوق حديد ... كانسياب الرقطاء فوق الرغام
قد مسحت البلاد شرقا وغربا ... بذراعى مشمر مقدام
بين جنبيك ما بجنبى لكن ... ما بجنبى مستديم الضرام
أنت لا تعرف الغرام وان كنت ... ترينا زفير أهل الغرام
أنت لا تعرف الحنين الى الالف ... فما هذه الدموع الهوامى

﴿ الكاظمى ﴾

شاعر عراقى . جيد الشعر متين النظم حسن السبك
رصين القافية لم أر فى الشعراء العصريين أطول منه نفسا ولا

أخفّ نحرا . تقرأ له القصيدة ذات المائة فترى آخرها مثل أولها وكأنها أفرغت فى قالب من الذهب منظوم

جاء فى الجزء الأول من ديوان حافظ فى باب التقاريظ ما يأتى

قال نادة الزمان ومعجزة البيان شاعر العراق الاستاذ الشيخ أبو المكارم عبد المحسن الكاظمى البغدادى نزيل مصر الآن . ضمّه وصاحب الديوان مجلس شعر وجرى ذكر ذلك الديوان فأملى عليه تقريظه لساعته وكان يملى عليه فما يرفع القلم الا مستمدا حتى أتى على آخره

هل بعد ذكر الحبيب ذكرى ... أحلى لدى ذى الجوى وامرى
وهل سوى القلب حين يصبو ... تأتيه رسل الغرام تترى
وليلة بتّها بمصر ... حسبت فيها العراق مصرا
بت وصحبي مابين صاح ... يحيى ولاه يميد سكرا
والروض روضان روض حسن ... وروض زهر يروق زهرا
عطر ريّاه كل دار ... منها استعارت دارين عطرا
أرى نجوما فى الأرض زهرا ... وأنجما في السماء زهرا
فارفع الطرف نحو هذى ... طورا وارنو لتلك أخرى

فاجتليها مثل القنا ديل نيّرات بيضا وحمرا
وكلما أخفت الدياجى لنا أغرّا أبدت أغرا
وكلما قلت فرّ هذا اذا بها علىّ كرّا
فبين هذا الرشا وهذا قسمت قلبى شطرا فشطرا
فاغتنموه وخلفوا لى محله فى الضلوع صفرا

الى أن يقول

من كل أحوى اذا تمشّى تاه على العاشقين كبرا
يميل نحوى بطنا فظهرا ممتزجا بى بطنا فظهرا
فاهصر الغصن منه قدّا وارشف الكأس منه ثغرا
وكلما رمت هتك ستر أرخى علينا العفاف سترا
فرحت من خدّه وفيه أجنى وأحسو وردا وخمرا

الى أن يقول

من ذا رأى بالحمى غزالا يقتاد أسد العرين قسرا
قمت أورّى عنه واكنى وذو الهوى من كنى وورّى
فظنت الناس أن قصدى زيد وانى قصدت عمرا
قلت وقد لجّ فى هواه حسبك جاوزت فيه قدرا
أراك ترنو الىّ شزرا مالك ترنو الىّ شزرا

فصل أو اهجر فلست ممن آنس وصلا وخاف هجرا
ما كان لى ناظر مريب اذ كان عود الشباب نضرا
كيف ووخط المشيب أضحى يخط عندى سطرا فسطرا
لو علم النجم بالذى بى ما طلع النجم واكفهرا
أو كان للدهر مثل عزمى ترفع الدهر واشمخرا
عزم يدك الجبال دكا ويترك البائرات بترا
ان انشب الدهر فى نابا أنشبت فيه نابا وظفرا
أحيط خبرا به ومثلى بمثله من يحيط خبرا
فان خير امرئ تراه من عاش حرا ومات حرا
لا تعمر القلب من وفاء فان دار الوفاء قفرا
فسر مع الناس كيف ساروا ومر فى الدهر كيف مرا

وقد نقلنا شيئا من هذه القصيدة فى باب الشعر فهى قصيدة جامعة ضاربة فى كثير من فنون الشعر تكفى أن تكون عنوان صاحبها غير انا ننقل له مرثاة قالها فى عمر بن الشيخ على يوسف مطلعها

أى امرئ فى الدهر ماعبثت فيما يؤمله يد الغير

منها

يستعظم الجلىّ اذا نزلت من ليس فى الدنيا بمعتبر
مهما أجال المرء فكرته لا يهتدى إلمكامن القدر
مازالت الاقدار ضاربة فى هذه الدنيا على وتر
وعدت عواديها على عمر
هذا الهلال ودون مطلعه لو أنزلوه منازل القمر
ملأ القلوب على نواه أسى من كان ملء السمع والبصر
كانت مخايله تبشرنا ان سوف يصبح موئل البشر
أيامه الغرر الحسان خلت لهفى على ايامه الغرر
عشر مضت ما كان أبهجها كالعقد كانت غير منتثر
قصرت سنوه وطال لاعجها وكذاك عمر اطايب الزهر
ومضى نقىّ الذيل أطهره من مهده للدرس للحفر
ولىّ كما ولىّ الربيع ولم يترك سوى الحسنى لمدّكر
لهفى على عمر وهل عمر مثل النسيم يمرّ فى السحر
لا قلت يسقى تربه مطر فى العين ما يغنى عن المطر

قال (أبو سعاد) ويطول بنا الكلام اذا نحن أدّينا لكل شاعر حقه ونقلنا ما يحسن من نظمه وقصدنا ان نلم بهم المامة فى هذه العجالة نجعلها عنوان الشعراء المصريين.

فمن شعراء العصر ﴿حفني بك ناصف﴾

وهو في العصريين أشبه بابي بكر الخوارزمي من المتقدمين تساوت درجتا شعره وكتابته وقد يسجع في نثره ويتملح في شعره وكتابته قال حينما أبعدوه الى قنا يخاطب وزير (الحقانية)

رقّيتني حسا ومعنى فلك الشكر المثنى
وجعلت رأس الحاسديـــن بمصر من قدميّ أدنى
وجعلت سدّة منزلي من أسقف الهرمين اسنى
اسكنتني في بقعة فيها غدوت أعز شأنا
أرد المشارع سابقا والسبق عند الورد أهنا
وازور آثار الملو ك وكنت قبل بها معنّى
بلد اذا حلّت به قدماك قلت حللت حصنا
جبل المقطم حوله متعطف كالنون حسنا
النبت في غيطانه متقدم غرسا ومجنى
والشيء يعظم حجمه في جوه ويزيد وزنا
فالسدر كالرمان والجميـــز كالبيض المحنى
والدوم فيه دائم يفني الزمان وليس يفنى

فخاره لهج الانا م بمدحه يسرى ويمنى
يكفى لترويج الأوا نى ان يقال قنا فتقنى
قالوا شخصت الى قنا يا مرحبا بقنا واسنا
قالوا سكنت السفح قلت وحبذا بالسفح سكنى
قالوا قنا حرّ فقلت وهل يردّ الحر قنّا
سرّ الحياة حرارة لولاه ما طير تغنى
كلا ولا زهر تبسم لا ولا غصن تثنى
ها قد أمنت البرد والبرداء والقلب اطمأنا
ألقى الهواء فلا أهاب لقاءه ظهرا وبطنا
وأنام غير مدثر شيئا اذا ما الليل جنا
قد خفّت النفقات اذ لا اشترى صوفا وقطنا
وفّرت من ثمن الوقود النصف أو نصفا وثمنا
فالشمس تكفل راحتى فكأنها أمى وأحنا
فاذا بدت لى حاجة فى الغسل ألقى الماء سخنا
أو رمت طبخا أو علاج الخبز ألقى الجوّ فرنا
سكنى القرى تدع السفيه موكلا بالمال مضنى
ويرى الغريب السعر أيسر حالة وأخف غبنا

يجد الحليب بعينه　　لبنا ويلقى السمن سمنا
عش فى القرى رأسا ولا　　تسكن مع الأذناب مدنا

ومن تقريظه ديوان حافظ

شعر على قلته جيد　　والشعر لا يمتاز بالطول
والدرّ بالقيراط مقياسه　　والارض بالفرسخ والميل
فصّلت الألفاظ فيه على　　قدر المعانى خير تفصيل
فلا يرى ناقده كلمة　　محتاجة فيه لتبديل
جعلت يا حافظ كيد الذى　　يشناك فى خسر وتضليل
كأن ديوانك فى عينه　　رسالة من عند عزريل
وكل بيت حجر قد هوى　　عليه من أحجار سجيل

﴿البكرى﴾

شاعر فحل من رجالات اللغة والأدب القديم . ترى شعره كما قال المنفلوطى «من شاء أن يشاهد تمثيل رواية الشعر القديم فليطالع شعر البكرى» وهو أكثر الشعراء ميلا الى الغريب ويشابهه فى هذا الباب الشيخ الشنقيطى والشيخ حمزه الا أنه يفوقهما بكثرة فنونه وعلو شعره ومن أحسن ما قرأت له قصيدته فى الربيع

أصبح وادي الغرقد أخضل كالسيف الصدي
كأنّ في قيعانه حصباء من زبرجد
يسيل في أصيله بفضّة وعسجد
ماء كبلور جرى لكنه لم يجمد
هبّت به ريح الصبا فعاد مثل المبرد
يهفو به سرب القطا من مورد لمورد
والدوح من أفنانه في حلل وبرد
والضوء في خلاله مثل نقود جدد
والطير في وكوره يشدو بشدو معبد
كروانه كراهب في طيلسان اسود
مرتل انجيله في صبحه وفي الغد
والدجن في آفاقه كجوشن من زرد
والغصن من أنواره مثل سراج موقد

ومنها

كأن كل وردة تقطف كأس في يد
يامجمر الطيب كفي ياجونة العطر قدى
والليل في نجومه كمثل يمّ مزبد

كواكب منثورة كلؤلؤ مبدّد
كأنما المرّيخ فيها جمرة لم تخمد
والبدر فى غمامه يضلّ ثم يهتدى
كأنه سجنجل أو درهم لم ينقد
والفجر فى ظلامه مثل حسام مغمد
جرّد منه بعضه والبعض لم يجرد

الى أن يقول

كم شدّة عادت على أصحابها بالسؤدد
كالعود أحيا نشره أحراقه فى موقد

وفى ختامها

جاء الربيع منعما بعد شتاء مجهد
فنحمد الله على قديمنا المجدد

﴿مطران﴾

قال فيه شوقى بك «لا يسعنى الا الثناء على صديق خليل مطران صاحب المنن على الادب والمؤلف بين أسلوب الفرنج فى نظم الشعر و بين نهج العرب» من قصيدة له فى المساء

يا للغروب وما به من عبرة للمستهام وعبرة للرائى

أوليس نزعا للنهار وصرعة ... للشمس بين جنازة الاضواء
أوليس طمسا لليقين ومبعثا ... للشك بين غلائل الظلماء
أوليس محوا للوجود الى مدى ... وابادة لمعالم الاشياء
حتى يكون النور تجديدا لها ... ويكون شبه البعث عود ذكاء

ومن قوله

اذا وسع الكون فكر امرىء ... فلا بأس بالطرف ان يحسرا
على الشمس ان تهدى المبصر ... ين وليس على الشمس ان تبصرا

وقال

يغم المرء عيشه فى صباه ... فاذا بان عاش بالتذكار

ولقد سمعت خليل أفندى ينشد قصيدة فى الهجرة النبوية فلكأنى أسمع مسلم بن الوليد ينشد « لا تدع بالشوق انى غير معمود » لجزالة ألفاظها وحسن مخارجها وأداء صوته لرنات القصيدة وضبط أجراسها

﴿ المنفلوطى ﴾

كتابته العليا أعلى من شعره العالى

من شعره

اذا ما سفيه نالنى منه نائل ... من الذم لم يحرج بموقفه صدرى

أعود الى نفسى فان كان صادقا عتبت على نفسى وأصلحت من أمرى
والا فما ذنبى الى الناس ان طغى هواها فما ترضى بخير ولا شر

وقال فى الشيب

ضحكات الشيب فى الشعر لم تدع فى العيش من وطر
هن رسل الموت سانحة قبله والموت فى الأثر
يابياض الشيب ما صنعت يدك العسراء بالطرر
أنت ليل الحادثات وان كنت نور الصبح فى النظر
ليت سوداء الشباب مضت بسواد القلب والبصر
فالصبا كل الحياة فان مر مرت غبطة العمر

﴿ الكاشف ﴾

شاعر كبير غير انه منزو . ولقد عجبت من شعر الكاشف لا تأخذنى روعة بلاغته فاذا نظرت اليه بعين الناقد تجلى صحيحا . وهو طويل النفس فى الشعر يضرب فى فنون شتى وأطول قصائده التى يقولها فى الأعياد الوطنية وقد ظهر له منذ سنين ديوان حافل ننقل منه قوله فى الدينار :

يا صاحب الوجهين واللونين يا شر الصحاب
يا أيها الدينار قد جشمتنى مر العذاب

كم لى تلوح فان سعيت　　اليك داراك الحجاب
يحمرّ وجهى تارة　　خجلا ويصفرّ اكتئاب
ويزيدنى جزعا فرا　　رك بين أقوام غضاب
فاذا مددت اليك كفـــى ردّها ظفر وناب
لو يسمع الفولاذ شعر　　ى حين أشكوهم لذاب

وآخر قصيدة قرأتها له مانشرها فى الاهرام يستقبل بها العزيز فى مقدمه من الاستانة وعدد أبياتها (٦٣) ومطلعها

ملك كما ترضى وعدل قائم　　منك المنى ولك الولاء الدائم

وفيها يقول

ومظاهر الدين الفضائل والهدى　　ومظاهر الدنيا ندى ومكارم

ومنها

والحق ان لج الدعاة به استوى　　فى نفعه متشيّع ومقاوم
واذا علت نفس الابىّ غلت فلا　　مستأجر لابائه ومساوم

ومنها

احزاب مصر اذا رضيت قلادة　　شتى فرائدها وأنت الناظم
والنيل بين يديك يجرى سلسلا　　والعيش رغد فى زمانك ناعم
لك ان تكون كما تشاء وحسبها　　الا يسوس الملك غيرك حاكم

﴿ محرم ﴾

شاعر عصرى متقدم ينظم فى فنون جديدة فاضلة وان كان يذهب الى الشعراء الأقدمين يسأل معهم الطلل ويبكى الظاعنين. قال من قصيدة له « فى الطبيعة وفتاة الريف »

بكرت تصافح ضاحك النوّار — بين المروج الخضر والأنهار
عذراء تستجلى الطبيعة طفلة — بلهاء ضاحكة الى الاقدار
نقدت على الفجر الدجى وحبت على — صدر الصباح وأمسكت بنهار
أهدى اليها الحسن كل فنونه — اهداء سمح غير ذى استئثار
فتنفست من عاطر وتبسمت — عن ضاحك وتلألأت عن دار
شغف العقول وفتنة الاهواء والا — ألباب والاسماع والابصار
للعاشقين الذاكرين وللغوا — ة الشاربين ومعشر الابرار
هى كل ماشاق النفوس وراقها — وأثار فيها كامن التذكار
توحى الى الشعراء كل بديعة — من معجز الآيات والآثار

ومنها

واذا الحياة جلت لنا اسرارها — خلصت سرائرنا من الاكدار
لك من كتاب الملك سطر واحد — يغنيك عن متنوع الاسفار
كل يطيل من الحياة شروحها — والسر فى كلم لديه قصار

أوجز فان العيش معنى موجز   يغنى محصله عن الا كثار

الى ان يقول

يا أخت مشرقة النجوم ملاحة   وطهارة في هيبة ووقار
أنقمت بعض هناتها فخفرتها   ونزلت من فلك لها سيار
شرف الطبيعة في يديك صحيفة   مزدانة بنفائس الاشعار
بيضاء هازئة بهن صحائفا   سوداء تنشرها ابنة الامصار
مكنت من شرف الحياة ومكنت   من سوءتي خزى هناك وعار
وكسوت عرضك بالحياة وعرضها   بادى العيوب من التبذل عار

﴿ مصطفى الرافعي ﴾

شاعر كأنه يمتح من بحر فلا تراه الا متكلما وحالى معه حال عبد الله بن شبرمة وقد قال لأياس «انا وأنت لا نتفق . أنت لا تشتهى ان تسكت وانا لا أشتهى ان أسمع»

من قطعة له في (مذنب هالى) الذى زار الارض في العام الماضى

تحفز في الليل حتى ترامى   فشق السما وأزاح الظلاما
واقبل يسطع من حسنه   ويبسم الحسن فيه ابتساما
جمال لو امتلكته الحسا   ن لم يمت الناس الا غراما

ومنها

فيانجم ما أضعف الناس فيـ لك وما أكثر اليوم عنك الكلاما
أحق ستجمع غل القلو ب فتنفجر الارض منه اضطراما
وتصدمها صدمة المستبد م يميت نظاما ويحيي نظاما
وتحطم سلم ذى الكبريا ء فليس يباهى مقام مقاما
وتهدم ذاك البناء العتيـ ق فيصبح فيه العظام عظاما
وترحم هذى القلوب الضعا ف يقاسون داء الملوك العقاما
وتهشم تلك الأنوف التى غدا الانف منها يحاكى سناما
وتترك فى كربه يستغيث من كان ليس يرد السلاما
اذا كان هذا فعجل به وحسب الفضيلة منا انتقاما

وكل شعره على هذا النمط الوسط

قال (أبو سعاد) وقد تكاثرت علىّ أسماء الشعراء حتى أصبح حالى معها حال أمرىء القيس فى قوله

اذود المعانى عنى ذيادا زياد غلام جرئ جرادا

فنكتفى بالاشارة اليهم فمنهم محمد أفندى امام العبد كان رحمه الله شاعرا حسن الديباجة طلىّ الشعر . ومنهم عبد الرحمن شكرى ولا يعرف انه شاعر الاقراء (الجريدة) ومنهم عبد الحليم المصرى

ومن خيرتهم الشاعر الحماسى الاستاذ الشيخ محمد عبدالمطلب له فى الحماسة والفخر شىءٌ عجيب فمن قوله فى ذلك

فما انا ممن يخلق الدهر عهده وتوهى النوى اسبابه والوصائلا
سأصبر للايام حتى أردّها بصبرى لما أرجوه منها حبائلا
واعمل فيها عزمة عربية يذبّ المواضى بأسها والعواملا
يجيش بها صدرى فاعلم اننى تبوأت فوق الفرقدين منازلا
فان سلبت قدرى حقوقا من العلا تحلى بها غيرى وامسيت عاطلا
فمن قبل قدجافت كريما وأنكرت حقوقا له من أهلها وفواضلا
حرمت العلا ان لم أكن خير أهلها عفافا واقداما وحزما ونائلا
ولم أك ذا نفس على الدهر مرّة عزيز عليها ان ترانى خاملا
ولى خلق اندى من الروض فى الضحى رقيق به أسبى الحسان العقائلا
فذرنى أسر حيث المكارم واحدلى على نغمات المجد ان كنت فاعلا

ومنهم أحمد أفندى نسيم وهو فرزدق هذا العصر بيته فى الهجاء أخزى من جهل التلميذ فى الامتحان ومنهم ابراهيم بك العرب شاعر الاسكندرية وشعره وسط وقد يسمو كميميته التى عارض بها البوصيرى ومدح فيها الخديو . واكثر ماينظم فى مديح العزيز

فاذا دخلت الازهر رأيت فيه الأديب الشيخ أحمد مكى شاعرا ظريفا. ومن فحول شعرائه الكبار الاستاذ الشيخ حسين والى صاحب التواريخ الحسان أنشدنى لنفسه قصيدة يخاطب فيها الزمان صدورها تواريخ سنة ١٣١٨ هـ واعجازها تواريخ لسنة ١٩٠٠ م وقد رسمها على المذهب الكوفى فى الواوى

فوادع ان خصمك هاشمى غـذاه بيأسه كهل الجلاد
أأشكو ان تساورنى بحرب ودون توجّعى خرط القتاد
فانى ان عطوتك فى قتال غفرت ولم ألم كبوَ الجواد
وان تك متبعى سهما بريّا فكم قهرتك بادرة احتدادى
اعالج رفعتى طوعا وقسرا وادلج ذارضى باقل زاد
ومن رجّى العلى ينصب ويخلع غراما فى رياش أو مهاد
وامسى فى الفلا تؤوى ليوثا تثير الرعب من عرف الوهاد
زأرن فان تتابع طول واد تحرك من صداها عرض واد
وشهم لايحاربه خميس دعته فكان من غنم النآد
ترى الانياب عاهدت المنايا وتفتك لاتُلَزّ الى تفاد
فكم بادرتها من فوق طِرف اغرّ سليل نائصة جياد
مجلّ يوم تلحقه خيول مجل يوم مختلط الوراد

ويطلع بى الثنايا حشو درع	اعـدت حقبة لخطار عاد
تقـلد خلها جلدا حساما	عظيم الشطر فى اللمم الجعاد
ولـكن باسلا أمسيت وترا	حزين الضرب فى زُحُل البلاد
نخلق النفس بعد فى عناء	وخلق الدهر كدّ فى ضهاد

ومن كبار شعرائه الشيخ أحمد الحملاوى

ومن شعراء الأزهر الشيخ عبد الرحمن عيد المحلاوى قال يمدح توفيق باشا حينما زار المحله

أشجارنا قد أثمرت فى الحال	وطيورنا قد غرّدت بمعانى
ياسـعد بادر للخديو مهنئا	عالى المكارم قد أتى بتهانى

وقال

بشراك وفقك الاله بفضله	وعليك والى نعمة وحظوظا
أبقاك ربك فى سرور زائد	مادام حسبك للقا موعوظا
أظهرت عدلا ساميا بين الورى	وجعلت كل معاند ملفوظا
لما تبـدّى للمحلة مقبلا	وازداد عزا فى الهوى ملحوظا
قدغرّد القمرى يقول مؤرخا	منك يدوم محمـد محفوظا

سنة ١٢٩٧ هـ

ومن شعرائه الكبار الشيخ سليمان العبد . وقد قرأت

فى مجلة الثريا منذ خمس سنين نظما لأحد الادباء جعل فيه الاستاذ من الطبقة الخامسة بين الشعراء العصريين – وله قصائد مدحا فى الخديو – منها

جلوس خديو مصر سعد سعودها * وخير أمانيها وأصل صعودها
جلوس به مصر تسامت الى السها * ونالت مناها فى وفاء عهودها
فأيامها أنس وأوقاتها هنا * وأعيادها صفو بعذب ورودها
يعيش لها العباس فى العز والمنى * ولا زال فيها كعبة لوفودها
ومادمت حيا لا أزال مؤرخا * جلوس خديو مصر سعد سعودها

سنة ١٣٢٩ هـ

وبعد فانا لا نتنزل الى الشعر السافل الا فى كتاب تنفسح منادحه لشعرائه غير انا نشير الى الطبقة التى تبتدئ منها طبقات الشعراء العصريين وهم أمثال (١)

ولو شاء العادّ لعدّ من هؤلاء النظامين شيئا كثيرا أُنْنِىَ بشعرهم فى الحوادث التى يفيض فيها الكلام

(١) نكل الى القارىء أن يضع الاسماء فى هذا المتسع وان كان ضيقا

﴿ شواعر العصر ﴾

مقدمتهن في الشعر السيدة عائشة التيمورية كانت رحمها الله تجيد الشعر العربي والفارسي و التركي فهي في النساء أشبه بسامي في الرجال

ومنهن الآن السيدة وردة اليازجية صاحبة ديوان «حديقة الورد» . والسيدة ملك حفني ناصف . والسيدة ست الدار محمد . والسيدة نبوية موسى . والسيدة زينب أنيس . والسيده زينب فواز . وكثيرات غيرهن نرجو الله أن يكثر سوادهن ويشنف أسماعنا بأشعارهن

﴿ الكتابة ﴾

الكتابة الآن في مصر راقية بفضل الحركة القلمية التي قامت بها الصحف والمجلات وأن العصر راق يمشي أهلوه نحو العلا . وأن أوربا تمدنا بآرائها وأفكارها وحضارتها وكثير منا ينقلونها فعلمونا شيئا من تلك العلوم النافعة . وقد ظهر في مصر طائفة من طلبة الاصلاح . والاصلاح يحتاج الى البيان . فكان المرحوم السيد جمال الدين الأفغاني يدعو تلاميذه الى تعلم الانشاء وقفاه الاستاذ الامام فاستنهض الازهريين

الى هـذا الفن الجليل وكانوا يرونه ضربا من العبث وأخـذ يحث طلبته على مواتاته بالكتابة فيما يقترحه عليهم ـ والجرائد كانت من وراء ذلك مدعاة لظهور كثير من المنشئين ومرقاة للوصول الى تعلم فن الانشاء حتى هبّت الكتابة العربية هبّة صحيحة وقامت منتصبة تستشرف للكمال وساعدها على ذلك طبع كتب الأدب القديمة وترويض الناشئة على محاكاة أصحابها فكانت الكتابة العصرية مزيجا من الكتابة القديمة والكتابة الحديثة

غير أن لغـة الدواوين لم تنفحها تلك النهضة ولا سار رجالها مع الناهضين وان كانوا يحرجون لهذا التقصير . ونورد كتابة لنجيب بك فهمى وهو من الراقين ليكون دليلا على ما نقول ولو أننا عمـدنا الى كتب هؤلاء لنشرنا لهم مخازى وها هى تلك بنصها وفصها

نمرة ٣٠٥٤ حرف ٩٥١ مصر فى ٢١ يوليه سنة ١٩١٠

﴿ الموضوع ﴾

عن ارسالية وز نمرة ٢٥٤ من سوهاج لسيدى جابر

حضرة . . . .

ردا على افادة جنابكم الرقيم ١٧ الجارى فانا لم نستلم الطيور بالعدد والعجز فى الوزن ناشئ عن ضعف الطيور وطولة المسافة وطبعا كان معها ماوونة ومياه فى بادئ الأمر ولذا المصلحة ليست مسئولة عن ما يماثل ذلك و نأسف لعدم امكان اجابة طلبكم فى هذا الموضوع . وكيل الادارة . نجيب فهمى

وللكتابة الآن فنون تسير فيها وكتّاب عرفوا بالصولة فى فن مخصوص فيقال فلان كاتب صحافى وهذا كاتب أديب والآخر كاتب عالم وهكذا وقد يتميّز بعض الكتّاب بكلمات يكثر من استعمالها فتكاد تكون دليلا على كتاباتهم فكاتبو الصحف فى الاقاليم يختصّون مثلا بأمثال هذه الكلمات (حبذا لو فعل كذا . خدش وجه الأدب . أفرغ من فؤاد أم موسى . برئ براءة الذئب من دم ابن يعقوب) وعلى بك فهمى يستعمل « كلا وألف مرة كلا » والشيخ عبد العزيز شاويش يكرّر « وما ذا عسى أن يكون » ولطفى بك السيد يكثر من ألفاظ الديموقراطية والاستقراطية . الخ فى كتاباته حتى تكاد تكون دليلا عليها .

— هذا — والكتّاب الآن منهم كاتب صحافى . وكاتب روائى . وكاتب اجتماعى . وكاتب عالم . وكاتب أديب . وكاتب مؤلف . غير أن التأليف فى زمننا لم يبلغ درجة الكمال التى كانت له أيام حضارة العرب . نعم ان بيننا مؤلفين ولكنهم عالة على غيرهم فهم اما نقلة عن الفرنجة . أوعن العرب . ولم أر عالما امتلا قلبه بعلم خاص حتى فاض على قلمه اللهم الا نوادر وشذاذا ونحن نعدّ فى طليعة المجيدين فى التأليف قاسم أمين والشيخ محمد عبده والشيخ حسين المرصفى صاحب « الوسيلة الادبية » ولم أدرك هذا واسماعيل باشا سرهنك صاحب تاريخ « دول البحار » وفى طليعة المترجمين فتحى باشا زغلول وعبد العزيز بك محمد وحافظ فى « بؤسائه » . ومن المؤلفين الذين حسنت ديباجتهم الاستاذ الشيخ الخضرى والاديب الشيخ المهدى فيما يكتبه من أدب اللغة العربية والاستاذ محمود افندى فهمى قد يعنى بكتابة التاريخ فيصف الوقائع وصفا كأنما يعرضها على القارئ بالمصباح السحرى . وللاستاذ احمد افندى امين عبارة فى أصول القوانين كأنها عرف الياسمين ولا أنسى رفيق العظم فانه أجاد وافاد فى كتابه

وكثير من الكتّاب تكلمهم فينطقون كما يكتبون وأعرف من هؤلاء الاستاذ الشيخ المهدى فانه يتكلم الفصيح السهل الآخذ ويكتب كذلك ولم أر مثل احمد بك فهمى العمروسى فى قوة التأثير فى السامع وسحره بكلامه المُرَقّق الذى يصل الى النفس كصوب الغمام سرى فى العود الصادى والاستاذ على بك فوزى يتكلم الصحيح الفصيح وهو ممن نشهد لهم بسعة العلم وطول الباع

ونحن بعد ان أفرغنا الكلام فى الشعر وذكرنا ان منه الكتابة الروائية يجدر بنا أن نختصر هنا ولذلك نعجل بذكر الكتّاب فنقول

(١) طبقات الكتاب فى مصر ثلاث. طبقة الأدباء. وطبقة العلماء. وطبقة الصحافيين

﴿ الأدباء ﴾

من الادباء محمد المويلحى . مصطفى المنفلوطى . أدباء النادى توفيق البكرى . ابراهيم اليازجى . الشيخ حمزة فتح الله . الشيخ عبدالكريم سلمان . حفنى ناصف . الشيخ سيد المرصفى

(١) لا نقصد من الترتيب الذى ستراه لافراد هذه الطبقات ترتيبهم فى اقدارهم

محمد المويلحي

كاتب ساجع قلمه فضفاض يجول فى الميادين جولات الخرّيت وله كتاب (عيسى بن هشام) لاترى أحسن منه فى بابه بيدأن فيه اغلاطا لفظية نعرفها الآن ولكن الكتاب ظهر قبل أن تنتشر تلك الاغلاط ويبيّنها العلماء بل قبل أن يثور غبار تلك النهضة اللغوية التى عرّفت الناس ما كانوا فيه مخطئين

قال فى فاتحة كتابه يصف القبور

حدثنا عيسى بن هشام قال

رأيت فى المنام كأنى فى صحراء الامام أمشى بين القبور والرجام فى ليلة زهراء قمراء يستر بياضها نجوم الخضراء فيكاد فى سنا نورها ينظم الدرّ ثاقبه ويرقب الذرّ راقبه وكنت أحدث نفسى بين تلك القبور وفوق هاتيك الصخور بغرور الانسان وكبره وشموخه بمجده وفخره واغراقه فى دعاويه وتغاليه فى تعاليه واستعظامه لنفسه ونسيانه لرمسه فقد شمخ المغرور بأنفه حتى رام أن يثقب به الفلك استكبار الماجع واستعلاء بما ملك فأرغمه الموت فسدّ بذلك الانف شقاقى لحده بعد ان طوى تحت صفائحه صحائف عزه ومجده ومازلت أسير وأتفكر وأجول

واتدبر حتى تذكرت فى خطاى فوق رمل الصحراء قول الشاعر الحكيم أبى العلاء

خفف الوطء ما اظن أديم الا رض الا من هذه الاجساد
وقبيح بنا وان بعد العهـــد هوان الاباء والاجداد
سر ان استطعت فى الهواء رويدا لا اختيالا على رفات العباد

فخففت وطء القدم وان فى غمار تلك الرمم لمباسم طالما حوّل العاشق قبلته لقبلتها وباع عذوبة الكوثر بعذوبتها . قد امتزجت بغبار الغبراء واختلطت ثناياها بالحصى والحصباء . وتذكرت ان تلك الخدود التى كان يغار منها الورد فيبكى بدموع الندى ويشتعل الفؤاد منها بنار الجوى ويقف الخال منها موقف الخليل من النيران أوابن السماء فى شقائق النعمان ويتموّج فيها ماء الحياة وماء الشباب قد طوى الدهر حسنها طىّ الكتاب وصارت بحكم القضاء أديما لوجه السماء . وان تلك العيون التى صادت بأهدابها الملوك الصيد فكانوا رعاة الامم رعايا الغيد وسحرت ببابل هاروت وماروت وأوقفت موقف الاستكانة رب الجلال والجبروت . يلتمس والتاج فى يمينه وعرق الحياء فوق جبينه من خلال لحظاتها قبولا كسائل عدّ لالتماس الاحسان

كشكولا قد أصبحت ترابا تحت الرمس كأن لم تغن بالامس . وان ذلك الفاحم الأثيث من الشعر الخاطف ببريقه سواد القلب والبصر قد حصدته من منابته يد الزمن فنسج الاجل منه ثوب الكفن . وان تلك النهود التي كأنها حقّان من لجين تزينت بحبّ من المرجان او كرات من جليد يشق فيها زهر من الرمان قد أصبحت كالمخلاة على الصدر تحمل الزاد لدود القبر

كم صائن عن قبلة خدّه   سلطت الارض على خده
وحامل ثقل الثرى جيده   وكان يشكو الضعف من عقده

وان تلك الرفات والعظام من بقايا الملوك العظام الذين كانوا يستصغرون الارض دارا ويحاولون عند النجوم جوارا . وتلك الضلوع التي انحنت على البطش والحلم . والشفاه التي طالما لفظت أمر الحرب والسلم . وتلك الأنامل التي كانت تبرى القلم للكتاب وتبرى بالسيوف الرقاب وتلك الوجوه والرؤوس التي استعبدت الابدان والنفوس ووصفت تارة بالبدور وتارة بالشموس قد تساوى الرئيس فيها بالمرؤوس فلا تفريق اليوم ولا تمييز بين الذليل منها والعزيز

هو الموت مثر عنده مثل مقتر | وقاصد نهج مثل آخر ناكب
ودرع الفتى فى حكمه درع غادة | وابيات كسرى من بيوت العناكب
فرُجّل فى غبراء والخطب فارس | ومازال فى الاهلين أشرف راكب
وما النعش الا كالسفينة راميا | بغرقاه فى موج الردى المتراكب

﴿ حافظ ﴾

قد أجاد كل الاجادة فيما عرّبه عن هيجو من رواية «البؤساء» ثم لم يصنع كل ما كان ينتظر من مثله فى «ليالى سطيح» فعلمنا ان الرجل يترجم أحسن مما يؤلف وان كان قد أغرق فى البؤساء حتى لو شاء القائل لقال ان البؤساء ليست فيها كلمة على حقيقتها وهى قدرة فى الصناعة عجيبة تدل على ما لحافظ من البيان

﴿ الشيخ عبد الكريم سلمان ﴾

كاتب كريم. ظهر فى الزمن المنصرم ظهور البدر أضاء الغيوم

﴿ الشيخ محمد المهدى ﴾

صاحب القلم البليغ واللسان السليط اذا تسمعت لحديثه فكأنك تتروّح نسمات الخريف وان قرأت كلامه فكأنك تنظر منه فى أدب الاولين والآخرين فقد أخذ الشيخ

بطرق البلغاء ومزج كتابة البديع بكتابة ابن المقفع فظهرت له طريقة نابهة . ترى على كتابته طلاوة الديباجة ورشاقة الاسلوب وجزالة اللفظ وابهة التعبير عن جليل المعنى

﴿ حفني ناصف ﴾

كاتب ساجع يحب التملّح والتنكيت فى كتابته وسجعهُ خفيف سائغ وكتبه منشورة للناس غير انا ننقل له كتابا بعث به الى الشيخ على يوسف يعزيه فى ابنه « عمر »

بعد الديباجة

خفّف الله لوعتك وارقأ دمعتك . وجنبك الجزع ووقاك الهلع . والهمك الصبر وأجزل لك الأجر . ورزقك من البنين فى مستقبل السنين . ماتقر به عيناك وتقوى به يمناك . وأنت والحمد لله فى قوة وبقية من الفتوة تمكنك من الابوة لخير النبوة . على ان لك فى عالم السياسة وضروب الكياسة فى هذه البلاد الوفا من الاولاد . واثارا كبرى تضمن الذكرى وتجعل لك على مدى السنين لسان صدق فى الآخرين

«أقول» وقريب من هذه المعانى فى قطعة لشوقى بك عزى فيها الشيخ على يوسف أيضا فى ابنة له اسمها «فتحيه» وهذه هى المرثيه

هى الدنيا وان جادت بخيله ... يد الحرمان فى يدها المنيله
سواء من يعيش الالف فيها ... ومن ايامه فيها قليله
لئن قصرت لفتحية الليالى ... فان فتوح والدها طويله
أأستاذ المؤيد هل أعزى ... بجهدى اليوم تعزية جميله
فما فى لوعة الآباء شك ... ولا فى ذاهب الابناء حيله
وأنت المرء ان أخطاك نسل ... فنسلك بيننا الخدم الجليله
تمناك النجوم أبا وتأبى ... شريكا فى أبوتك الفضيله

﴿ أدباء النادى ﴾

منهم الشيخ أحمد مفتاح كان رحمه الله أديبا حافظا . ومنهم الشيخ محمد الشريف . والشيخ أحمد الازهرى « بك » . والشيخ محمد عابدين . والشيخ أحمد الزناتى . والشيخ اسماعيل خليل والشيخ عبد الرحمن زغلول «أفندى» . والشيخ محمد شلبى والشيخ مصطفى الخولى « بك » . والشيخ عبد الرحمن ابراهيم « بك » . والشيخ عبد العزيز خليل وهو كاتب قدير . والشيخ محمد يوسف . والشيخ محمد عز العرب . والشيخ عبد الوهاب النجار . والشيخ عبد الوهاب خير الدين . والشيخ أحمد ابرهيم فقيه الادباء وأديب الفقهاء والشيخ عبد الحكيم محمد وهو

أديب عالم طيب . والشيخ حسن منصور كاتب رقيق مقل
والشيخ مصطفى عنانى . والشيخ مرسى محمود . والشيخ محمد
عفيفى . والشيخ عبد الخالق عمر . والشيخ محمد سالم . والشيخ
أحمد نجاتى . والشيخ أبو الفتح الفقى . والشيخ على بركه .
والشيخ أحمد على . والشيخ عبدالرحمن العراقى والشيخ زكى بدر
وغيرهم ممن لا أعلمهم

﴿ البكري ﴾

كاتب لغوى . هو ثالث ثلاثة فى مصر ترسموا اعراب
البادية فكانت كتاباتهم صورة لما يتكلم به البدوى القح فى
قلب صحرائه النائية عن حواضر المدن . وهم الشيخ الشنقيطى
والشيخ حمزة . ويتبعهم الآن فى غزارة المادة اللغوية الشيخ
سيد المرصفى الا انه لا يتعمل للغريب تعمل هؤلاء . وننقل
بعض كلامهم غير قاصدين ما أغربوا فيه

كتب البكرى فى العزلة (١)

كتابى الى السيد أيده الله وكلأه ورعاه . وأنا حل بقرى
السواد وريف البلاد . بعيد عن المدينة وما فيها من الشدنة

(١) من صهاريج اللؤلؤ

والزينة . فى عزلة عن الناس بين سقي وغراس . سليم الجسم من السقم والنفس من الالم . والحمية من الانام كالحمية من الطعام شفاء من كل داء . وخليق بمن ارتطم في المزدحم ان يصاب ببعض الأوصاب ومنها

ياما احيلى الوحدة والريف . وذلك المشتى والمصيف والجو السجسج والظل الوريف . فجر يلوح فى الأفق كالنور فى الأعين الزرق . وضياء ينبثق فى الفضاء كما ينبثق الماء وشمس تبدو للاشراق فى الآفاق كبودقة فيهاذهب أوقنبلة ترمى باللهب فيرتفع جرس كل حيوان « كمنون »فى الاوثان

ومما كتبه الشيخ حمزة يعزى الشيخ على يوسف فى ولده « عمر »

عزاء أيها السيد السند . فلئن عظم المصاب بما ذوى من فتن الدوحة الهاشمية فثواب فرطه أعظم . ومثلك من يقابل القضاء بالرضاء . نسأله تبارك وتعالى ان يضاعف لك الاجر . ويمنحك جميل الصبر

ومن فصول الشنقيطى فى رحلته

أيها الناس

سماع سماع . ان العقل والعلم والدين والصدق والحق والحياء والامانة والعدالة فى العلم والامر بالمعروف والنهى عن المنكر قد طارت به العنقاء واودت به عقاب ملاع منذ اثنتى عشرة سنة من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرف البقاع الخ

﴿ المنفلوطى ﴾

أول كاتب فى مصر من كتّاب المأساة « التراجيديا » واقدر الكاتبين على ادخال المعانى فى امخاخ القارئين وصبّ الافكار الحديثة فى الالفاظ القديمة وسبكها فى قوالب عربية محكمة وهو من كتّاب الفضيلة الذين يثأرون لها من الناس كما يثأر البدوى من قاتل أبيه ـ وقد أخرج للأدباء «نظراته» فنقد الناقدون بعض الفاظ أخطأ فى استعمالها ليست بالكثيرة فى جانب ما نقرؤه لغيره من الفحول

ومن أحسن الحسن فى نظراته ان الناظر فيها يحار كثيرا حتى ينتقى منها مايعرضه على الناس لأن كل ما فيها متناسق الحسن « من كلامه »

يا أقوياء القلوب من الرجال رفقاً بضعفاء النفوس من النساء . انكم لا تعلمون حين تخدعونهن عن شرفهن وعفتهن أيّ قلب تفجعون وأي دم تسفكون

ومن قطعة له في « المرقص » وقد انتقد وقوف الجند على حراسته

ان العين لا تكاد تملك مدامعها سحاً وتذرافاً كلما أبصرت هذا الجندي الشريف واقفاً هذا الموقف الذليل يسمع قراع الدفوف لا قراع السيوف ويرى حمرة الصهباء لا حمرة الدماء ويحمي الفسق والفجور لا القلاع والثغور . . . .

وكتب تحت عنوان « خداع العناوين »

لقد جهل الذين قالوا ان الكتاب يعرف بعنوانه فأني لم أر بين كتب التاريخ أكذب من كتاب بدائع الزهور ولا أعذب من عنوانه ولا بين كتب الادب أسخف من كتاب جواهر الادب ولا أرقّ من اسمه كما لم أر بين الشعراء اعذب اسماً واحطّ شعراً من ابن مليك وابن النبيه والبهاز هير . . .

ومما كتبه تحت عنوان « عبرة الدهر »

بنى فلان في روضة من رياض بساتينه الزاهرة قصراً

نخيما يتلألأ فى تلك البقعة الخضراء تلألأ الكوكب المنير فى القبة الزرقاء ويطاول بشرفاته الشماء أفلاك السماء كأنه نسر محلق فى الفضاء أو قرط معلق فى اذن الجوزاء . وكأن شرفاته آذان تفضى اليها النجوم بالاسرار وطاقاته ابراج تنتقل فيها الشموس والاقمار . ولم يدع ريشة لمصور ولا ليقة لرسام الا وأجراها فى سقوفه وجدرانه وطاقاته واركانه حتى ليخيل للسالك بين ابهائه وحجراته ومحاريبه وعرصاته انه ينتقل من روضة تزهر بالورود الحمراء والانوار البيضاء الى بادية تسنح فيها الذئاب الغبراء والنمور الرقطاء ومن ملعب تصيد فيه الظباء الاسود الى غاب تصيدفيه الاسود الظباء . وانشأ فى أكبر ساحاته وأوسع باحاته صهريجا من المرمر مستديرا يضم بين حاشيتيه فوارة ينفر منها الماء صعدا كأنه سيف مجرد أو سهم مسدد تخيل للرائى ان الارض تثأر لنفسها من السماء وتتقاضاها ما أراقت منها من الدماء . تلك تقابلها بالرجوم والشهب وهذى تحاربها بالسهام والقضب . وغرس حول دائرة الصهريج دوائر من شجرات مؤتلفات ومختلفات واغصان صنوان وغير صنوان . اذا نحتها انسام الاسحار رقصت فوق بساط الازهار

وتحت ظلال الاثمار فغنّت على رقصها الاطيار غناءالاغاريد لاغناء الاوتار . . . .

ومن رجال هذه الطبقة الاديب الفاضل أحمد بك تيمور . والكاتب الفحل الشيخ أحمد عمر الاسكندرى . واللغوى المتمكن الشيخ ابراهيم اليازجى . والنقّاد الشيخ طٰه حسين . والأريب الشيخ عبد الرحمن عبد المجيد السنتميهى والاديب الشيخ عبد الرحمن البرقوقى وغير هؤلاء فى البلد كثير لا أعرفهم ولا أتذكر أسماءهم

﴿ العلماء ﴾

(الشيخ محمد عبده)

أول من أحيا الكتابة العربية وبعثها من مرقدها وأول من كتب على هذه الطريقة الفخمة الجميلة وكسر قيود الكتابة البديعية . وقد كان من كتّاب الصحافة ولم يكن فى بادئة أمره فيها كما كان فى آخرتها . ثم اضحى فى الرعيل الاول من الكتّاب العلماء حتى قال فيه المنفلوطى «يكاد يكتب الشريعة الاسلامية بلسان صاحبها» وله حكم كثيرة . منها .

العفة ثوب تمزقه الفاقه ـ انما بقاء الباطل فى غفلة الحق عنه ـ من عرف الحق عزّ عليه ان يراه مهضوما ـ حسبك من الصديق ان ينصرك بقلبه ـ حجود الحق مع العلم به كاليقين فى العلم كلاهما فى الناس قليل ـ انما تتم نكاية الاعداء بخيانة الاصدقاء ـ العلم مايعرفك من أنت ممن معك

﴿ الشيخ الخضرى ﴾

أمنية المنجبات . لله درّه من كاتب بليغ وعالم ضليع ضرب فى كثير من العلوم بنافذات من السهوم فتراه يكتب ويخطب في الفنون العربية والمسائل الفقهية والحوادث التاريخية وهو فى كل ذلك يجيد فى معانيه وفى ألفاظ السلسة المهلهلة التى يجرى فيها على طبعه وسجيته ويميل بها الى الوضوح والتبيين

﴿ الشيخ رشيد رضا ﴾

ما اشتبهت علىّ كتابة أحد من الناس بكتابة الاستاذ الامام الا كتابة الشيخ رشيد فانك تقرأ كتابته ويخيّل اليك انه الاستاذ الامام فى رسالته أو عبد القاهر فى دلائله أو ابن القيّم فى اعلامه وهو فى كل ذلك كاتب عالم يجلّى للقارئ

ما يريده من المعانى حتى لكأنه ينظرها وهى تترقرق فى صفاء ذهنه وتتزاحم فى فسيح صدره الممتلىء علما نافعا

ومن كتّاب العلماء الشيخ عبد القادر المغربى . وأحمد بك زكى وهو شغوف بالسجع ويعقوب صروف أفندى وجرجى زيدان أفندى وهو من كتّاب التاريخ وان كانت عباراته يميل بها الى العامية .

وفتحى باشا زغلول وهو قائد المترجمة فى الاجادة وحسن الاداء وعبد الخالق ثروت باشا وحسن بك جلال وهما من رجالات القانون وكبار المتشرعين . وابراهيم الهلباوى بك المدرّه الكبّار

وقاسم أمين بك . وهو أعظم من كتاب فى «المرأة» وأحد حكماء مصر المعدودين — من كلماته —

المقلد فى ايمانه يحمل عقيدته كما تحمل الوردة فى عروة الملابس . والمنكر مجازف جاوز حد العقل والعلم . وأبغض منهما من يخادع بدينه فيقول ان كان الله غير موجود ماخسرت أكثر من غيرى وان كان موجودا ربحت مع الرابحين لذلك أؤمن به . هذا هو المحتال الذى لا يصان أحد حتى الاله من نصبه — رب كلمة يتجرعها الحليم مخافة ما هو

شر منها - ان الذى يمدحك بما ليس فيك انما هو مخاطب غيرك - الحرية الحقيقية تحتمل ابداء كل رأى ونشر كل مذهب وترويج كل فكر

﴿ الصحافيون ﴾

(ابراهيم بك المويلحى)

كان من حقنا ان نعده فى طبقة الادباء لان صحفه التى أصدرها لم تكن بجرائد الصحافى فانها ما كانت تظهر حتى تغيب كهلال الشتاء. أنشأ - نزهة الافكار - والاتحاد - والأنباء. واشترك مع السيد جمال الدين فى تحرير « العروة الوثقى » ثم أنشأ « مصباح الشرق »

وقد جمعت رسائله على حدة فى كتاب « ماهنا لك »

جاء فى الجزء السابع من المجلد الرابع عشر لمجلة الهلال سنة ١٩٠٥ م ما يأتى

كان ابراهيم حلو الحديث لطيف النادرة سريع الخاطر حسن الاسلوب نابغة فى الانشاء الصحافى وفى الطبقة الاولى بين كتاب السياسة رشاقة ومتانة وأسلوبا مع ميل الى النقد والمداعبة ولا يخلو نقده من لذع أو قرص لا يراعى فى ذلك صديقا ولا قريبا حتى قيل لم ينج «من قوارص قلمه الا الذى

لم يعرفه» وقد انتقدوا تقلبه فى خطته وذلك تابع لتقلبه فى سائر أحوال معايشه لما قدمناه من تردده فى أعماله حتى قضى العمر فى التنقل من عمل الى آخر

ثم قال وهاك مثالا من انشائه رحمه الله يصف موكب صلاة الجمعة فى الاستانه

ماقيصر فى موكب انتصاره ولا اسكندر فى يوم افتخاره استغفر الله بل ماسعد قادما من القادِسيّة ولا المعتصم قافلا من عَمُّورِيَة املأ للقلوب مهابة ولا للعيون بهاء من رؤية جلالة السلطان يوم الجمعة فى موكبه . الى أن يقول . اذا حان وقت الصلاة أشرقت المركبة السلطانية المذهبة كالشمس ضياء من مطلع السراى تحمل الامام نائب الرسول صلى الله عليه وسلم ويجلس أمامه الغازى عثمان باشا والمشيرون وكبار رجال المابين حافّون من حول المركبة مشاة خشّع الابصار ترهقهم ذلة من جلال تلك العظمة الاماميه وهم فى غير هذه الساعة اكاسرة الزمان وقياصرة الرومان كبرا وجبروتا وكلهم فى أمواج الملابس الذهبية يسبحون وعلى صدورهم نياشين الجوهر تخطف الابصار وتأخذ الألباب حتى ان الناظر ليكاد يوالى

الحمد لله تباعا على ما منحه للدولة من عديد الرجال الصادقين في خدمة الملة والامة بشهادة الكلمات الناطقة فوق النياشين لولا مايعتريه من الاشتباه فيهم . والنيشانُ عنوان كتبته الدولة ووضعته على صدر حامله شهادة منها للناس ببيان ماهو مكنون وراءه من فضائل الغيرة والحميّة . فاذا اختلف المكتوب على الصدر عن المكنون فى القلب كانت كبائع يغش الناس بوضعه على زجاجة الخل عنوان ماء الورد . . . الخ

«والمرحوم مصطفى كامل باشا شهرته تغنى عن الكتابة فيه»

ومن المصريين الاحياء كثير من رءوس الصحافة وهم متفاوتون فى الاساليب وانتهاج الكلام وايراد الحجج ولكل منهم ميزة خاصة يعرف بها وصحفُهم بين الناس متداولة فلا ضير اذا أغفلنا النقل عنها غير أنا نذكر أسماء الاعلام منهم

على يوسف ولطفي السيد وفارس نمر وهؤلاء هم الاقانيم الثلاثة للصحافة المصرية ـ حافظ عوض . محمد مسعود . عبد العزيز شاويش . فريد وجدى . داود بركات . البستانى . حمزة . الكازة الحداد . طانيوس . اما سليم سركيس فهو أمة واحدة وكذلك احمد فؤاد . و «بعضهم» وكامل دياب . وأسعد الملكى الذى

كان يتحفنا برسائله فى المؤيد من نيويورك - ثم كثير من محررى الصحف يطول بنا عدهم

هذا -- وأسماء هؤلاء الذين سردناهم عنوان الراقى من الأدب العصرى . وهناك طبقات أخرى غير محفول بها ولا نابه شأنها . فنطوى عنها كشحا ونصعّر لها خدا

﴿ أدباء كوم النور [١] ﴾

بعد ان ذكرت كثيرا من الادباء يجدر بى الا اغفل أدباء بلدى بل أذكرهم ختام مسك فقد كان أبى رحمه الله كاتبا ظريفا وشاعرا كريما مقلاً وأخى «عبدالحى افندى سليمان من ضباط الجيش المصرى» يجيد الكتابة ويحسن قول الزجل

ومن أدباء بلدنا الشيخ عبد العزيز خليل وهو من أدباء النادى وكتّابه الكبار

ومنهم ابن العم الاستاذ الشيخ عبد الخالق عمر من أدباء النادى أيضا . ومنهم الاديب الشيخ عبدالله عبدالكريم . وحسين بك هلال المحامى من رجال مجلس المديرية . ومحمد بك هلال عمدة ميت غمر . ومحمد افندى هلال واشتغاله بالادب يبشر بمستقبله

(١) مركزها ميت غمر من أعمال الدقهلية

الحسن . والشيخ محمد ندا مراسل الصحف . وفيها شباب متأدبون «الافندية» ندعو الله أن ينميهم ويرفع من أقدارهم

ومن شعرائها محمد بك ابراهيم هلال وهو من كتّاب مصر وشعرائها وأدبائها المعروفين

ومنهم عبدالله بك هلال والشيخ ابراهيم عبده وهما من خيرة الشعراء المتقدمين فى عصر الشيخ على الليثي والآن تقرضان الشعر وعليه بهاء الطور المتقدم

— علماؤها —

مقدم علمائها السيد الشريف أبى الشيخ «سليمان[١] ابراهيم» كان رحمه الله من علماء الأزهر المعروفين بالسبق فى العلم والفضل ومكارم الاخلاق وكان من حاملى كسوة الشرف

ومنهم خالى الشيخ موسى الزين وأبوه السيد الشريف الصوفى الجواد المرحوم الشيخ محمد الزين

وابن عم أبى المرحوم الشيخ محمد الطنطاوى

ومنهم الاساتذة الشيخ سيد أحمد خليل والشيخ هلال عبد الحميد

(١) ولد سنة ١٢٥٩ هـ وتوفى صبيحة الاحد ٢١ شعبان سنة ١٣٢٢ هـ - ٣٠ اكتوبر سنة ١٩٠٤ م

والشيخ احمد سلامه والشيخ بدر شاهين والشيخ محمود خليل والشيخ على العجمى والشيخ سيد خليل

ومن قرائها الرواة الشيخ يوسف عجّور والشيخ محمد ليله ثم الشيخ محمد الشرقاوى ذو الصوت الحسن والشيخ احمد ليله والشيخ جابر والشيخ عبدالله فوده . وفيها مئات من الحفّاظ المرتلين يطول بنا عدّهم - هذا - الى الطبقة الناشئة فى الازهر ومدارس الدين والنابتة المربّاة فى مدارس البلد من بنات نيّرات وبنين كرام

ولعمدتها «عبدالله بك محمد هلال» دخل فى فنون كثيرة يتكلم فيها بكلام مشبع مقنع

﴿ الغناء ﴾

قلنا ان الطبيعة شعرت وظهر شعرها فى جمال الله الذى تجلى به عليها فشعّ مع ضوء القمر وبان فى خضرة الشجر وتراءى فى نزول المطر حتى أخذ الشعراء يحاكونها ويصوّرونها ولا يجيد منهم فى شعره الا من اتقن التصوير وبرّز فى التشبيه وكذلك نقول فى الغناء فان الطبيعة غنّت وترنّمت وسمع الناس غناءها فى خرير الانهار وحفيف الاشجار وتغريد الاطيار وتجاوب الاصداء فى آفاق الارجاء وفى ازيز القدور ونعير

النواعير وفى كل الاصوات التى تترنم بها الطبيعة وتجود على الناس فتلحنها بصوتها الرخيم ليلذوا بها ويطربوا منها

فلما سمع الناس هذا الغناء الفطرى وجدوا من نفوسهم خفة الطرب ونشوة السرور فسارقتهم طباعهم الى التقليد والطبع لا يقلد الا ما يحبّ فرفعوا عقائرهم وفتحوا لهواتهم بأصوات يلحنونها ويقطّعونها تقطيعا يجرى مع النفس على حركاته فى مجراه

وقد زعم أهل الطب (١) ان الصوت الحسن يسرى فى الجسم ويجرى فى العروق فيصفو منه الدم ويرتاح له القلب وتنمو معه النفس وتهتز منه الجوارح وتخف به الحركات

وقد جرّب (٢) اطباء فرنسا تأثير الغناء فى وظائف الاعضاء بآلة حاسبة فوجدوا انه يزيد فى دورة الدم وفى حركة التنفس سرعة مقبوله

وقد ذكروا ان الغناء لم يخص تأثيره بالانسان بل ان كثيرا من الحيوان يطرب منه طربا كثيرا وقالوا ان الفيل اذا سمع صوتا مرنما أو كلاما منغما لم يلبث جسمه الضخم

(١) مختار العقد (٢) حديث عيسى بن هشام

ان يتمايل ترنحا ويهتز طربا . وقد شاهد المشاهدون ان كثيرا من هوام الارض ودوابها تخرج من كهوف الجبال وشقوق الرمال تسير جيشا كثيفا وراء جيوش الحروب واستظهر بعض علماء الطبيعة ان جاذبها هو صوت الموسيقا التى يغنى بها الجند المحاربون وكتب الادب مشحونة بحكايات كثيرة عن شغف الحيوان بالغناء وتأثره به

وأول ماظهر الغناء فى أهل البوادى رعاة الجمال فانا نعلم ان الحُداء الذى يرقّ عنه النصب هو أقدم فنون الغناء ولا نعلم فنّاسبقه بين ضروب التلحين . وعجيب ان هذا الحيوان الاعجم «الجمل» يطرب للغناء على غلظ كبده طربا ينسيه نفسه فتراه يروى اذا كان ظمآن ويوسع فى خطاه على تعبه اسراعا تستقيم له رقبته التى تحمل رأسا يستشرف بأذنيه للحادى خيفة ان يفوته الحداء . على ان هذا العجب تصغر قيمته بجانب ماقرره الاطباء قديما وحديثا من ان الغناء دواء لكثير من الامراض . ويبطل كل عجب بما قرأناه فى المؤيد لمكاتبه فى نيويورك فقد بعث برسالة قال فيها ان أستاذا أمريكيا من أستاذى الموسيقا يخترع فى نغم موسيقى يزعم ان الجماد

يميد منه اذا سمعه . وانه يكفى لهـدم دار على أهلها ان يضرب بذلك النغم ضربات تنبسط لها الدار فتتمايل طرباً وتختال نشوة ولا يحس ساكنوها بذلك الطرب الا بعد ان تهبط عليهم فتخمد أنفاسهم !. وا كاد لا أكذب هذا الخبر بعد ان سمعت الحديد يغنى ورأيت الانسان يطير

وأثر الغناء فى النفوس لا يحتاج الى فضل كلام ويكفى ان الامم تغنى جنودها فى ساحات الوغى غناء وطنيا يهيج من فؤاد الجندى عاطفة النجدة والشجاعة فتراه يتذوّق كأس الموت ويخاله رشفة من فم الحبيب ويتلقّى بصدره شهب النيران وقذائف المدافع وهو يظنها فى سبيل الذود عن حماه أوسمة يهديها له وطنه ليحلى بها صدره . أصيب محمود بك مختار برصاصة فى حرب اليونان فكتب الى أبيه الغازى . انى أفتخر بهذه الرصاصة واخالها وساما علقه الوطن فى جسمى موضعها

وللاستاذ الخضرى محاضرة فى الاغانى قال فيها بعد ذكر تأثير الغناء [1]

---

(١) العدد الاول من السنة الاولى لصحيفة نادى دار العلوم

هـذه أيها السادة آثار الغناء فى النفس . يسارع فى تـكوين أخلاقها وتثبيت أحوالهـا حتى يعسر بعد ذلك ان يعتورها تغيّر أو نقصان . لذلك رأينا كثيرا من الحكماء يزنون أخلاق الأمة بأغانيها . فهى عندهم المعيار المضبوط لنموّ الاخلاق الفاضلة وثبات أصولهـا — اذا كانت الاغانى من بديع القول جعل ثوبا لجليل المعنى علموا من الامـة ما يكبرونها عليـه ويجلّونها به . واذا رأوا فى الفاظ الاغانى خسة وفى معانيها برودا حكموا عليها بأقسى الاحكام وكانت آمالهم فى رقيها ونهوضها ضعيفة

ألم تسمعوا بحكم ذلكم السامع وقد سمع مغنيا مصريا يرفع عقيرته بذلك الصوت

« حبيبى فين شفوه لى يا ناس . شردمنى وفيده الكاس »

فقال . أوقد بلغ بهؤلاء الكسل ان يطلب أحدهم من الناس البحث عن حبيبه الشارد . أما كان فى الحب مايلهب وجدانه حتى يسعى الى حبيبه ليعلم أين هو . . . الخ اه

ولا نريد ان نـكتب فى تاريخ الغناء العربى فقد أكثر العلماء فيه تدوينا و نقلا غير انا نعجب ان يكون مسقط رأس

الغناء فى بلدى الدين وكعبتى المسلمين المدينة دار هجرة النبي . ومكة مهبط الوحى الالهى . فان الغناء العربى لم يتهلهل وينظم فى سلك الفنون الا بعد ان اختلط العرب بالفرس والروم وسمعوا منهما الالحان الموسيقية والنغمات الموقّعة على آلات الغناء فاستعذبوا ذلك وأخذوا منه مايوافق المزاج العربى وأسقطوا كثيرا من النبرات التى لاتتمشّى فى تجاويف الاذن العربية ولما اشتد الاختلاط وساد العرب على دولتى العجم والرومان وسبوا منهما السبايا جاء فيها موالى يحملون الطنابير والمعازف والعيدان والمزامير وغيرها من آلات اللهو والطرب فأقاموا بها للغناء دولة أسسوها وحكومة شيدوها فى قلوب العرب فكانت تحكم على الارواح ويخضع لها الملوك والامراء وتغلو فيها قيَم القينات على مهور جمالات النساء وناهيك بما رواه التاريخ عن أثر تلك الحكومة حكومة الغناء فى نفوس العرب مما لم يؤثر مثله عن سواهم حتى ان شيوخ الدين كانوا (رأس مال) المغنين وعمود خيمة السامعين فقد ذكر فى[1] العقد الفريد ان شيخا من أهل المدينة صحب شابا فى سفينة ومعهم

(١) الجزء الثالث من العقد الفريد

جارية تغنى فقال الفتى للشيخ ان معنا جارية تغنى ونحن نجلك فاذا أذنت لنا فعلنا . قال فأنا أعتزل وافعلوا ما شئتم فتنحى وغنّت الجارية

حتى اذا الصبح بدا ضوءه وغابت الجوزاء والمرزم
أقبلت والوطء خفى كما ينساب من مكمنه الارقم

فرمى الناسك بنفسه فى الفرات وجعل يخبط بيديه طربا ويقول أنا الارقم فأخرجوه وقالوا ما صنعت . فقال والله أنا أعلم من تأويله مالا تعلمون

وقال أحمد بن جعفر . حضر قاضى مكة مأدبة لرجل من الاشراف فلما انقضى الطعام اندفعت جارية تغنى

الى خالد حتى أنخنا بخالد فنعم الفتى يرجى ونعم المؤمل

فلم يدر القاضى ما يصنع من الطرب حتى أخذ نعليه فعلقهما فى أذنيه ثم جثا على ركبتيه وقال اهدونى فانى بدنة

هكذا كان سلطان الغناء يفعل بجلال الشيوخ ويذهب بوقار رجال الدين وكذلك فعل بالملوك واشراف الناس فقد[1] دخل معبد يوما على يزيد بن عبد الملك فغناه بقول كثيّر

(١) تزيين الاسواق

ألم يأن لى ياقلب ان أترك الهوى وان يحدث الشيب الملمّ لى العقلا
على حين صار الرأس منى كلما علت فوقة ندّافة العُطب اغزلا
فياعزّ ان واش وشى بى عندكم فلا تكرميه ان تقولى له أهلا
كما لو وشى واش بودك عندنا لقلنا تزحزح لاقريبا ولاسهلا

فطرب يزيد حتى جعل الوسادة على رأسه ودار فى الدار وهو يقول السمك الطرى أربعة أرطال عند بيطار حيان بل قد ملكت به القيان قلوب الملوك حتى كان مثل الرشيد على جلالة قدره يقول

ملك الثلاث الآنسات عنانى وحللن من قلبى بكل مكان

(١) ولما دخلت حبابة على يزيد غنته

ما احسن الجيد من مليكة واللبا ت اذ زانها ترائبها
ياليتنى ليلة اذ هجع النا س ونام النيام صاحبها
فى ليلة لايرى بها أحد يسعى علينا الا كواكبها

فطرب وقال لها هل رأيت أطرب منى فقالت نعم معاوية بن عبد الله فأحضره فلما غنته رقص وطرب وجعل يقول الدخن بالنوى ثم قالت مولاى الذى باعنى فأحضر وكانت

(١) الاغانى

قد بعثت تخبره فلما غنت ألقى نفسه على الشمعة حتى حرقت لحيته وهو يقول الحريق يا أولاد الزنا

كانت هذه منزلة الغناء من نفوس العرب وقد كان رأس المغنين فى المدينة سائب خاثر مولى ابن جعفر وهو أستاذ جميلة التى أخذ عنها معبد وعزة الميلاء وكان يناظره فى مكة ابن مسجح شيخ ابن سُرَيج والغَرِيض . وهكذا نشأ الغناء فى البلدين الطاهرين وقامت دولته فى منابت الوحى الالهى . وكأن الله تعالى أراد أن يكون هذان البلدان مبعث ماينعش الانسان ويهز منه نفسه فتأثرت روحه بآيات القرآن كما طربت من نغمات العيدان .

وقد ذكروا أن أول من غنى فى الاسلام طُوَيس ومن غنائه وهو أول صوت غنى به فى الاسلام

قد برانى الشوق حتى كدت من شوقى أذوب

وكان فى الدولة الأموية رهط من كبار المغنين وكلهم لا يغنى الا بالشعر وكثيرا ما كان يقترح الملوك على الشعراء نظم الأبيات وعلى المغنين تلحينها والغناء بها مما أثر فى اللغة أثرا ظاهرا ونهض بها نهوضا بيّنا . ولا ينفسح لنا المقام للتكلم فى مجالس الغناء وانها غرر كتب الأدب وريحانتها

التي تسرّي عن قارئها الهموم - حتى اذا كانت الدولة العباسية وفيها انضجت مواهب العرب وتفننوا فى العلوم والفنون جعلوا للغناء شأوا اعلا كل الأمور وتسنّم كل المقامات حتى كان من الخلفاء المغنون واشتهر كثير من أهل بيت الخلافة بالغناء وصناعة التلحين وفيها ظهر ابن جامع وابراهيم المَوْصِلى وكانا رئيسى المغنين فى الدولة العباسية ولكل منهما مذهب فى الغناء يشايعه عليه أنصار ويتعصّب له أناس. ثم جاء من بعدهما شيخ الموسيقا العربية أعنى به اسحق الموصلى صاحب الاصوات العديدة والطرق الجديدة التى اخترعها والتفنن الغريب فى حفظ أصواته من السرقة فقد حكى مرة انه غنى بصوت له امام فحول المغنين سبعين دورا وما استطاع واحد منهم أن يقلده فيه أو يسرقه منه وكان أستاذ زرياب المغنى ناقل الغناء الى الأندلس عروس البلاد الاسلامية اذ ذاك . وقد أخذ الغناء فى الأندلس يسير فى مناح جديدة وخرج عن دائرة الشعر المنظوم واودعوه ما اخترعوه من الموشحات والزجل والقوما والدوبيت وكان ويكون الى غير ذلك من بقية الفنون العشرة التى قالوها وكانت فى بادئة أمرها تحوى الخيال البديع والمعنى الرائع

والقول الساحر مما لا ينقص قيمة عن الشعر العالى المنظوم

فلما سقطت الاندلس في الغرب وسطت العجمة على العربية فى الشرق هبط الغناء عن عرشه وسقط سقوطا يعيب أهل ذلك الزمان الذى جعلوه وسيلة الى الأخلاق السافلة ومطية للشهوات الكاذبة وما زال الغناء يسفل وقيمته ترخص حتى نزل منزلة خسيسة وقال فى مغنى وضيع ثم عدت صناعته فى عداد المهن الخبيثة ونظم المغنون مع المفلوكين والمرذولين حتى جاء اسماعيل باشا عزيز مصر الأسبق وفى عصره ظهر عبده الحمولى ومن هذا الوقت تبتدئ حياة جديدة للغناء العصرى

جاء فى الجزء الـ ١٨ من المجلد الـ ٩ لمجلة الهلال نقلا عن «مصباح الشرق» فى ترجمة عبده الحمولى ما يأتى بنصه

— تاريخ الغناء بمصر —

أصل طريقة الغناء بمصر على مايعلم من تاريخ وضعها ان رجلا من أهالى حلب اسمه شاكر افندى وفد الى القطر المصرى فى المائة الاولى بعد الألف وكان فن الالحان فيه مجهولا فنقل اليه جملة تواشيح وقدود وكانت هى البقية الباقية من التلاحين التى ورثها أهالى حلب عن أهل الدولة العربية.

فتلقاها عنه بعضهم وصارت عندهم ذخيرة نفيسة يضنّون بها على الغير واشتد حرصهم عليها وصار الواقفون عليها يحرمون الناس من تلقينها وبقيت بينهم على بساطتها الاصلية يتصرفون فيها بدون الشد والتصوير فكانت قاصرة على أمهات المقامات وبعض الفروع المقابلة لها وكانت بالنسبة للغناء مثل حروف الهجاء بالنسبة للكلام واقام المغنون فى مصر على هذه الطريقة البسيطة لا يتصرفون فيها الى عصر عبده الحمولى فتلقاها المرحوم منهم على أصلها وغنى بها مدة ثم دفعته سجيته فى الطرب وحسن ذوقه فى الغناء ان يتصرف فيها شيئا ما مع المحافظة على الاصل وعدم الخروج عن دائرته فأزال عنها بعض الجفوة ومازال يرتقى المرحوم فى شهرته بحسن الغناء حتى ألحقه المغفور له اسماعيل باشا بمعيته فسافر معه الى الاستانه مرارا وسمع هناك آلات الموسيقا التركية وجلب اسماعيل باشا فى عودته الى مصر جماعة من أكابر المغنين فيها فكان المرحوم يحضر معهم دائما فى اشتغالهم بالغناء واستمالته الحانهم وأخذ ينتقى منها ما يلائم المزاج المصرى ويناسب الطريقة العربية ورأى المجال واسعا فى الموسيقا التركية اذ وجد فيها كثيرا من النغمات التى لم يكن

للمصريين علم بها ولم تطرق آذانهم من قبل مثل النهاوند والحجاز كار والعجم فنقلها الى الغناء المصرى ثم التفت الى بقية مصطلحات الغناء فى الطبقات المختلفة من ذلك العصر مثل المنشدين المشهورين بأولاد الليالى «الفقهاء» والعوالم «القيان» والمداحين «الضاربين على الدفوف» والتقط منهم مااستنسبه فأضافه مع المختار من الغناء التركى وخلطه بالطريقة القديمة فجعلها طريقة جديدة خاصة به وظهر فى مصر وفيها شيوخ المغنين فصار شيخا عليهم وقد دعاهم جهلهم بما صنعه الى استنكار طريقته فى أول الأمر ولكن مالبث الناس ان ذاقوا حلاوتها وطلاوتها فعم استحسانها وذهب استنكارها وانتصر بحسنها عليهم وله فيها من التلاحين أشياء كثيرة

ثم قال

وجملة القول فى باب الغناء ان المرحوم جدّد فيه وأبدع وأحياه في مصر بعد ان كان خاملا ثم تمكن فيه من التوفيق بين المزاجين المزاج التركى والمزاج المصرى فبعد ان كان أهل الطبقة الحاكمة فى المصريين من الاصل التركى لا يطربون للغناء المصرى ولا يلتفتون اليه أصبحوا بفضل المرحوم وعما

وفقه فيه من الانغام التركيـة مقبولا عنـدهم مفضـلا لديهم وبعد ان كان المصريون لا يطربون من الغناء التركى ولا يروقهم غير طريقتهم طريقة التوجع والانين أصبحوا يطربون لما يلائم من الأنغام التركية التى أنعش بها طريقتهم القديمة فهو الجدير بأن يسمى فى مصر معدل المزاجين بين الأمتين . وكما امتزج الجنسان فى الاجسام بالانساب فقد مزج بينهما عبده بالغناء فى الارواح وكفاه فخرا انه لم يصل أحد من قبله ولن يصل من بعده الى مثل ما وصل اليه من هذا الابتداع والاختراع الذى اهتدى اليه بما ميزه الله من لطف الذوق وشدة الذكاء وحدة الطرب ومحبـة الاتقان والترقى فى درجات الـكمال . ... الخ اهـ بحروفه

فلما مات عبده استقل بالشهرة محمد عثمان وجاء آخرون كثروا كثرة الراغبين فى الغناء على هذا النحو ولكنهم تهوروا فى الاخذ بطريقة عبده وتغالوا فيما جاء به وقد ذكر الاستاذ الشيخ محمد الخضرى ان عبده «كان على مبدأ ابن جامع يعطى لنفسه من الحرية فى الاداء ما لم يفعله المتقدمون اشباعا لصوته واظهارا للنغم فخرج بذلك عن قواعد اللغة فى جوهر الكلام حتى ان السامع

فى بعض الاحيان لا يفهم مايقوله المغنى الا بغاية الصعوبة وأتبعه على ذلك المغنون . . . الخ »

«وأقول » ان لذة الغناء ليست من الصوت الحسن فحسب وانما هى بالمعنى الجليل والصوت الجميل فيكون الصوت جسرا موطئا يعبر عليه المعنى ليسكن فى لفائف المخ التى تتفتح له كما تتفتح الوردة لطل الصباح. فشعور السامع بتأثير الغناء ولذته منه انما يكون بجلال المعنى ورشاقة الملحن فى تأديته اليه . ولذلك ترى المغنى الماهر يعمد الى مارق من الالفاظ وطاب من المعانى فيلبسه من صنعته أبهج ثوب يأخذ العيون رواؤه والعقول بهاؤه فاذا مافهم المرء معانى الصوت وقد تأثر بجودة التلحين أبصرته لا يستشق حمل هذه المعانى والقيام بها وان كلفته عرق القربة ونزح المحيط لان النفس تخف من نشوة الطرب فلا يثقلها شىء فى الوجود وهذا هو السر فى ان الامم تغنى جنودها أوقات الحروب وهى لا تغنيها الا باغانى الفخر والشجاعة والذود عن الحمى من كل مايهيج من نفس الجندى عاطفة الحمية ويستثير منه كوامن الغيرة فترى الغناء يخفف عن الجنود عبء هذه الاثقال وينسيها قول المتنبى « الاقدام قتال»

وجماع القول فى هذا الباب ان السرور انما يكون من سمو المعانى وان الطرب انما يكون بحسن أدائها فاذا فقد ركن من هذين فقد ضاعت مزية الغناء ونكب به المغنى عن طريقه وانى لأسمع من مغنى عصرنا «الادوار» التافهة فى العشق والغرام «والمذاهب» الباردة فى المحبوب والمدام ويستبق الله ألسنتهم أجمعين ان كنت جلست لأحدهم وهو يغنى فهمت منه مايقول . ولذا لاترانى أطرب من هؤلاء المغنين طربى من حداء بنات الريف اللاتى أفهم مايحدون

وأصوات أولئك وهى غير مفهومة أشبه ماتكون بالموسيقا الفرنجية لها نغمات ذات أصوات خاصة قلما تطرب العربى وربما جاءت منها نغمة توافق مزاجه فيطرب منها ثم يجمد فى بقية النبرات . وكذلك المغنون المصريون اطرب مما أفهم ثم اجلس وكأن المغنى يراطننى على حين تريد النفس أن تفهم . وهذا ما نام باللغة العربية نوما عميقا ولم يؤثر فيها أثر الغناء العربى فى صدر الاسلام اذ نهض بها نهوضا بينا لان المغنين كانوا يغنون بالاشعار العربية التى تحوى كثيرا من مفردات اللغة فيضطر السامعون الى معرفتها حتى يطربوا من تلحينها

ونحن فى زمن لم نسمع ان شاعرا انشأ قصيدة فأخذها المغنون يلحنونها ويغنون بها اللهم الا بيتين صنعهما شوقى فى ليلة «البال» سنة ١٩١١ م وقد كانت فى دار وزير الوزراء سعيد باشا وذلك حيث يقول

سرير صلاح الدين يابن محمد جلوسك فيه للبرية عيد
لواؤك فى الدنيا وفى الدين خافق وعصرك حر والوزير سعيد

فلحنهما الشيخ يوسف المنيلاوى أشهر مغنى مصر الآن وغنى بهما . قال الراوون وقد طرب منهما الناس كثيرا وكذلك يطربون من الشيخ سلامه حجازى لأنه يلحن القصائد العربية التى تحوى كثيرا من المفاخر والحكم

وقد بح صوت المصلحين فى مناداة الشعراء والمغنين لينظم هؤلاء مايغنى به أولئك وتراهم فى غفلة ساهين والمغنين يغنون ب« ليه ياأناوش للعواذل عندنا » ومثل «ياحلو صن عهد ودادى الله يصونك » وتسمعهم يعقبون كل أغنية بنداء الليل سواء أكانوا بالليل أم بالنهار كأنما الليل اله الغناء (!)

وجملة القول ان الغناء المصرى تدلى عن مرتبته التى كانت له وبعد ما بينه وبين أخويه الشعر والكتابة فانهما

يوشكان ان يبلغا الغاية والغناء لا يزال بعيدا

﴿ أنواع الغناء ﴾

من أنواع الغناء مايوقع على الألحان ويقوم به المغنون العظام مقطعا على الطنابير والعيدان أمثال. عبد الحى. وصابر وصادق. وشفيق. والصفتى. وداود. وغيرهم كثير ـ وا كثر مايغنى هؤلاء «بالادوار» الغرامية التى يغلب أن تكون خالية من المعانى الجميلة والمقاصد الجليلة ونورد نموذجا منها

(دور)

ان طلت قلبى بايدى لمنعه عنك

وكف قدمى ويكفى اللى جرى منك

القلب أهو داب ولسه لم شبع منك

يبات يرفرف عليك قلبى شبيه الطير

تلوف بغيرى يخلص ربنا منك

(دور)

ياحلو مبسم جمالك سكرى حالى

قاتلتنى بالغرام اشفق على حالى

لوعينوا الى فيك ياجميل سبع مماليك والوادى

ماخد بدالك ولاشمت عواذلى فيك ـ ان أسعدتنا الليالى

(دور)

زين يا زين أسمر ومكحل عين
دخيلك ودخيل عيونك دلينى على البيت فين

وقد يقبح هذا النوع ولا يخجل المغنون من رفع عقائرهم وسط الدهماء بالأدوار المخزية كدور مطلعه « جميل وقال لى خش بستانى » أو « على يا على يا بتاع الزيت » ـ ومن أنواع الغناء مايسمى بالنشيد ومنه التلحين تلحين القصائد العربية والموشحات الأندلسية ورئيس هؤلاء الشيخ سلامه حجازى وهو خير ملحن سررت منه ومنهم الشيخ يوسف المنيلاوى وهو مشهور بالنشيد ولكنه يغنى كثيرا على الآلات ـ ومنهم من يقرأ « الموالد » أمثال الشيخ حسن جابر . والشيخ اسماعيل سكر والشيخ مبارك . وبينهم رجل اسمه الشيخ متولى رأيته يقطع الكلام على هزات جسمه وأبصرته يشهق ويزفر ويجعل دكانه ميدانا يجرى عليه ويتثنى من فوقه فعجبت غاية العجب

ومن أنواع الغناء ماينبسط له الفلاحون فى الريف

« وأولاد البلد » فى الحضر وهو الغناء بالمواليا الحمراء . وأكثر معانيها ريفية مما يلائم حالة هؤلاء الريفيين الذين يقضون حياتهم بين تلك المروج الخضر والبساتين الزهر وقد يسخف معناها وربما كان بعض ألفاظها أجوف لا معنى فيه الا أنها لا تكاد تخرج عن الحب والمحبوب وقد تحوى الحكم والامثال ويعنى قائلوها بالجناس فى ألفاظها ونورد شيئا منها

(١)

الورد قال أنا سلطان كل الزهر
شوكى سلاحى وخدت المملكه بالقهر
أغيب عنكم سنه واقعد حداكم شهر
وميّتى فى قنانيكم بطول الدهر

(٢)

يابدر تم الجميل واطلع لنا بدرى
يااللى ملامح جمالك من جمال بدرى
ان كان حبيبى يوافينى لطيب وافرح
وان كان جفانى لكتّرم الدموع بدرى

(٣)

ياشجرة الصبر والله لازرعك عندى

تبقى ذخيره اذا عملوا على عندى

راحوا يجيبوا الدوام الشام والهند

الصبر منى فرغ واطاولت الايام

هلبت ياعين بعد الشر ماتندى

(٤)

خسيس وشتم الاصيل قالوا نهار مندى

ضحك الاصيل يشوف فرق دى من دى

قال الخسيس لاعندك ولا عندى

بص الاصيل التقى الجلسه عليه مالت

قال اشهدوا يارجال حق الخسيس عندى

(٥)

ياعين نانه بكا ياعين خدى وادى

قالت بكايا على اللى حافظين ودى

اصحى يطول المطال ياعين تنسيهم

ياعين اذا قصروا حبل الوصال مدى

(٦)

حسوك ياسبع فى ملاْه وصرت وحيد

وصرت تبكى وتنعى وتمسح كل دموع بايد

وحق تربة نبى صلوا وراه العيد

داحنا انشبكنا ولا كان الخلاص بالايد

(٧)

ياطير ياماشى خد الجواب وديه لضى العين

وان سألك وقال لك الجواب دامنين

قل له م اللى انحطن جسمه على شانك

ومن قلة الحبر كتبولك بدمع العين

ومن أنواع الغناء حداء بنات الريف فى الافراح والزفات وهن يوقعنه على « الطبلة » وتحدو ذات الصوت الحسن وتجيبها الباقيات بنغمات توافق «أهوية الادوار» التى يتخللها التصفيق المنظم . وهذا نموذج منه

ياحماى يامه ياحماى عينه ماحت ـ طلعت فوق السطوح أشكو الهوى لله . لقيت غزاله بتقرأ فى كلام الله ـ قالت لى تخدى

ابن عمك قلت لا والله. قالت لى تخدى ابن خالك قلت شرع الله. قالت لى تخدى الغريب حفّضت باسم الله - ياحماى يامه ياحماي عينه ماحت

الواد مالوا ومالى ياعينى الواد مالوا ومالى بس. أبيض ظريف المعانى بس ماطوله - واسأل على تربته واتمد فى طوله. وان جم الملوك يسألم لردّ مسئوله - وأقول داميت صغير السن لم يعرف - دِيرُم حسابه عليه وأنا أردوله. الواد مالوا ومالى الخ

ومن هذا الصنف غناء «الربات» وهن السيدات المخدرات ربّات الدور ويوقعنه اشبه بغناء الحاج ولا يصفقن ولا يطبلن وترى الكمال والأبهة على مغنياته. وهاك دورا منه

ندى الثريا نزل يهل عليّه. طلى وشوفى ياللى دعيتى عليه - دانتى دعيتى والحق جاد عليّه. طلى وشوفى ياللى

ياعِمتّه ومرشقه ريحانى ياعِمْ «مرخم عمته». يازفته فاتت على أولاد عمه واستعجب المسلم مع النصرانى — الخ

ومنه أيضا غناء المواشط وهو أشبه بغناء «الربات» وهذا نموذجه

عريسنا يادى الحليوه. وعملت له ماتمنى - وجبت له كشمير

كويس . وعجنت له فى الطشت حنه ـ هو انركب زينة الخيل هو ان مشى عصفور جنه

عريسنا يادى الحليوه . يارب نكتب كتابه ـ جبت القفاطين بالفين والعافيه مابين ثيابه ـ طلبت من عندربى يحفظ على أمه شبابه ـ عريسنا يادي الحليوه الخ

اما غناء «العوالم» القيان فلا يخرج عما تقدم غير أن صنعة الحضر وبدع الحضريات قد يحسنه كثيرا ويجعله محبوبا

ومن أنواع الغناء غناء «الغوازى» الشاحذات فى الأسواق يمدحن الأطفال بنشيد يوقعنه على الصفاقتين وهاك نموذجا من اغانيهن

فى الجنينه ماشى . سى محمدافندى ـ لابس قميص بحواشى . سى محمدافندى — ناديت وقلت خفه ياماشى . سلبت عقلى . رد عليه ومنها

يارب خليه لمه . يابنات غنواله ـ واحد حليوه ـ جبت القفاطين ولبسه ياعديله . والفرح وهبه . يا كريم تديله

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وقد انتهى طبع الكتاب من بعد ان تعبنا في تصحيحه تعبا كنا نظنّ ان نبلغ به الغاية من الكمال والسلامة من كل نقص ولكن وقع فيه من الغلط ما يُدّعى فهم القارئ للمراد معه وادراكه وجه صوابه . غير اننا نشر هذا البيان توثقا واطمئنانا راجين من القارئ ان يستبدل به خطأ الكتاب . ونقول ان الياء المتطرّفة المنقوطة أعجزتنا من بعد نيل الشقّة في محوها فنجا بعض منها كتابُ أجله الطبعة القادمة ان شاء الله تعالى

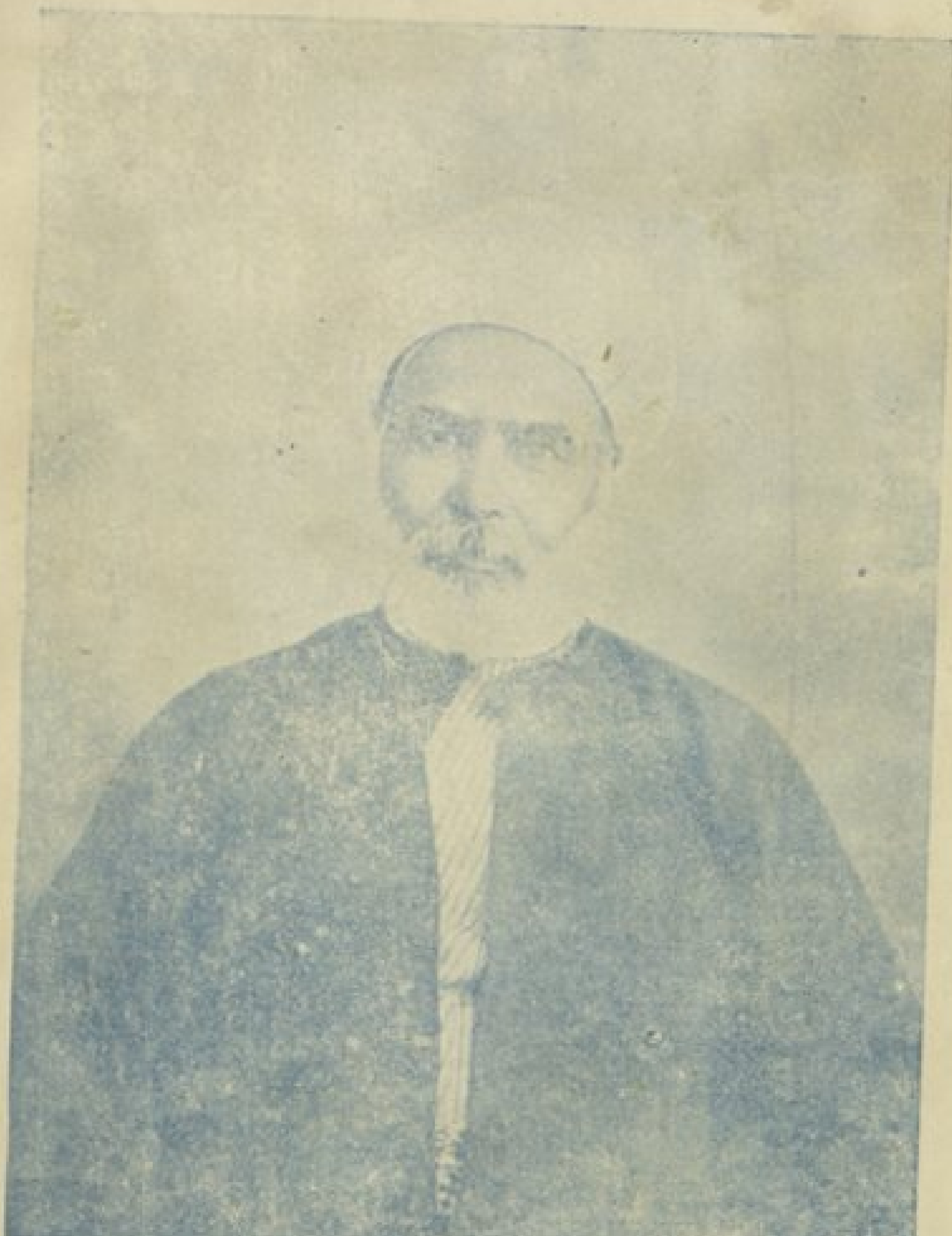
الخطأ	صحيفة	سطر	الصواب
خطيره	٧	١	حظيرة
الجاهلبين	١٢	٢	الجاهليين
ونفقه	١٦	١	وتَفقّه
الاعطيّات	١٦	٨	الأَعْطِيَات
المثنبي	١٧	١٧	المتنبي
إله	٢٠	٣	آله

الخطأ	صحيفة	سطر	الصواب
أسلم	٢٥	٨	اسلم
الأغا	٢٨	١٣	البيك
على	٢٨	١٤	عليّ
عليّ	٢٨	١٥	على
القذر	٣١	٥	القدر
على الشعراء	٣٢	٤	الصواب انها زائدة
أبو ذؤئب	٤٢	٢	أبو ذؤيب
رفت	٤٣	١٠	رقيت
أنظر	٥١	٢	انظر
أنظر	٥٥	١	انظر
مذالامضاعا	٦١	٦	مذ الامضاعا
زياد	١٠٤	١٣	ذياد
ائناشئة	١٣٣	٦	الناشئة

خطأ	ص	سطر	صواب
متخرج من	١	١٣	متخرج فى
نادة	٩٠	٥	نادرة
يذب	١٠٥	٥	يذيب
قد	١٠٥	٨	كم
الاستقراطية	١١١	١٦	الارستقراطية
كتاب	١٢٧	١٠	كتب
واحدة	١٣٠	١٦	وحده
انحطن	١٥٤	٨	انطحن
سليان	١٦٠	٢	سلمان
وينظلم	٦٠	١٤	وينظم

فهرس كتاب الأدب العصرى

(تم)



﴿ نافخ الروح فى الادب العصرى الأستاذ الامام محمد عبده المصرى ﴾